

الأمير شكيب أرسلان

بأكورة
شعر



الأمير شبيب أرسلان / باكورة

قدم له،

د. كلوديا شمعون أبي نادر

جميع الحقوق محفوظة

الدار التقدمية

المختارة - الشوف - لبنان

هاتف، ٩٦١-٥/٣١٠٥٥٥ - ٩٦١-٥/٣١١٥٥٥

E – mail: moukhtarainf@terra.net.lb

<http://www.daraltakadoumya.com>

الطبعة الأولى ٢٠١٠

الأمير شهاب أرسلان

باكورة

تقديم

د. كلوديا شمعون أبي نادر

الدار التقدّمية



كلمة لا بدّ منها

إنّ هذا التراث القيّم مدين بالتنقيب عنه وجمعه وتنظيمه
إلى الأساتذة:

المرحوم الدكتور يوسف إيبش، والدكتور يوسف خوري،
والمحامي الأستاذ توما عريضه،

الذين لم يتوانوا عن شقّ المسافات الطوال وتكبّد العناء
في السفر إلى أقطار عدّة في البلاد العربية والأوروبية
بحثًا واستقصاءً عن تلك المآثر المجيدة، التي، لولاهم،
لكانت ذكرى أمير البيان، الأمير شبيب أرسلان،
طيّ النسيان والضياع.

فلهم دائم العرفان لما بذلوه من تضحيات في سبيل جمع
هذا التراث ونقله.

الدار التقدّمية

أمير البيان

الأخيرة شبيب أرسلات

١٩٤٦ - ١٨٦٩



مقدمة الناشر

تنطوي صفحات الفكر، وهو يعلو فوقها ويتألق، عارضاً تشعباته الجمّة، مؤثراً إثارة فضولنا نحو المزيد. وفكر الأمير شكيب أرسلان هو، دون شك، من هذا النوع الذي يرقى إلى حدود الإبداع الإنساني الملفت، والمسجل بحروف من ذهب في الذاكرة الإنسانية الشاملة.

حلل كثيرة ومتنوعة ألبسها الأمير شكيب أرسلان لملكته الفكرية. وها هو اليوم يطلّ علينا شاعراً، مبدعاً، يلاعب الكلمة والوزن على أنغام أثرية من سحر المعاني وأعمقها، وأبينها، وهو أميرها المتوّج عليها بعد أن قدّم ديوانه الأول شعراً، وهو الذي بين أيدينا الآن، ليكون "الباكورة" شعراً، واسماً، ليعود بعد ذلك سابراً أغوار مراقبه الإبداعية المتعدّدة التي حملت إلينا كنزاً مُعتبراً من نتاج ذلك الفكر المتوقّد بالمعرفة والعلم والأناقة الأدبية الخالصة.

"باكورة" الكتاب الشعري الأول للأمير البيان، نقدّمه إلى القراء الأعزاء وقد أوليناه رؤى الأمير وشفافيته، ورهافة حسّه وشعوره الغني الذي جعله في مصاف الشعراء الأوائل؛ وهذا ليس بشهادتنا فحسب، بل بشهادة عمالقة الشعر في ذلك الزمن الأبي، أمثال خليل مطران، وأحمد شوقي، ومحمود سامي البارودي، وغيرهم كثر، إذ استطاع بأداته الشعرية المطوّعة أن يدخل عالم الكلمة السحرية من بابه العريض، فيترك بصمة عميقة، شأنه في ذلك شأن كلّ البصمات الراقية التي بصم بها التراث الغني الذي تركه أمانة بين أيدينا.

"باكورة"، إصدار جديد للدار التقدّمية ينضمّ إلى أسرة مؤلّفات الأمير شكيب أرسلان الجمّة، ليشكل حرفاً جديداً في تلك السيرة الإبداعية التي لم توقف تيّارها الزاخر... سوى انطفاء السراج...

الدار التقدّمية

في، ١ كانون الثاني ٢٠١٠

مقدمة

بقلم: د. كلوديا شمعون أبي نادر

حين تقرأ شكيب أرسلان، تهبطُ من علو يشهقُ أمام ماضٍ أغنى تاريخ الوطن، وفضح هزلة الحاضر. كمُّ مرعبٌ من الادّعاء الثقافي والتهجين السياسي، والدجل الاجتماعي، والسذاجة الفكرية، شوّه الحاضر، ومسح الماضي الحاضن لأهل فكرٍ، آمنوا بالقوّة التغييرية للكلمة - الفعل، وناضلوا جسداً وروحاً كي تصان المبادئ، وتُحفظ كرامة الإنسان، والأمير شكيب أرسلان في طليعتهم.

ربّي اغفر للبنان، فنكرانه أو تجاهله لأميّز مميّزه، خطيئة لا تُغتفر!

أيّها الأمير، أنا أعلم أنك لا تتلملعل في ما بعديتك، من تجاهل مرورك الفكري، في تاريخ لبنان، وهل يمكن للظلمة أن تحجب النور؟ أكثر من قرن قد مرّ على ولادتك، إلا أنّ عمق كتابتك الأفاق، يضعك دائماً في مرتبة الآتي والمتوقّع، والمتربّع، وأكاد أقول المنتظر. كتبت الماضي باستشفافٍ رؤيوي، فأزلت وهم الوقت، وتربّعت على عرش الزمن، خطّاط المواقف، والمعارف، والمراجع، وناحت سير الكبار الذين يغيبون ولا يغيبون، ويضيفون حياةً على السنوات، ويعيشون ولا يجترونها، ويشيرون الإعجاب والتقدير والاحترام، عوض الازدراء والإهمال والنسيان.

أيّها الأمير،

أحببت المعرفة، فتقمّصتك، ونذرت عمرك للقضايا المحقّة، فاستوطنك النضال وطناً بديلاً عن البلاد التي عاث فيها الفساد والاستزلام والقمع للحرّيات. أقلام كثيرة غدت مراجع بمحيطة معرفتها، إلا أنك تميّزت عنهم بموضوعيتك الآسرة، والمتخطّية للاستتباع، والتملّق، والتملّك، هديها أمانة الرسالة - الرسالة، والجاهرة بالحقيقة، مهما غلت الأثمان، إيماناً منك، أنه ما من شيء أعلى من الإنسان.

أيها الأمير،

ما من لقبٍ، قادر هو على صنع حامله! أمّا أنت، فلقد أعطيت قيمةً معنويةً
للقب، وأشدّت قصرَك المعرفي بكذك اليومي، وظمئك، الذي لا يرتوي، لكلّ
جديدٍ، منقذٍ للعقل والروح والجسد.



بسم الله الرحمن الرحيم

وعلى سيدنا محمد وآله أفضل الصلاة والتسليم

وبعدُ، فقد جمعتُ بعض ما وقع لديّ من باكورة نظمي وأنا في روق الشبيبة، ولُدون الحداثة القشبية، حديث العهد بهذه الصنعة، قريب الورد لهذه الشرعة، متطفّل على ما ليس في طوقي، قبل أن أشبّ عن الطوق، متناول إلى ما هو فوقِي دون أن أضمن لنفسي الفوق. انتخبتهَا وليس من مقصدي نشر ديوان ولا التلبّس بحالةٍ من هذا الشان، بل إجابةً لطلب بعض الإخوان، كنتُ اعتذرتُ إليهم بأنها من عهد الطلب وهزّة الاقتبال والطرب وتطفّل الحدث على الأدب، بل عبث الوليد إذا شبّ. فلمّا لم أرَ لعرضهم صدّاً، ولم أجد من إجابتهم بُدّاً، اقتصرتُ على هذه الأنموذجات. واحسبني تناولتُ جدّاً، فإن صادفتُ من الإقبال محلاً ولاقت قبولاً فذاك، وإلاّ:

فقد يتزيّا بالهوى غيرُ أهلهِ ويستصحبُ الإنسانُ ما لا يلائمُهُ



إهداء الباكورة

لحضرة العالم العامل، الفيلسوف الكامل، واسطة عقد الحكماء
ودرة تاج البلغاء الأستاذ الأكبر الشيخ محمد عبده المصري
أيده الله تعالى

لو هاج مثلُ الحمد خاطرَ شاعرٍ
أو لو وجدت بمثلِ حمدك عاذلاً
لكن سطوتَ على القريض بأسره
فزهوتَ بين مداركٍ ومشاهدٍ
أو كيف لا تسمو ومثلك من حوى
علمٌ على عملٍ على قلمٍ غدا
وفضائلٍ تستنطقُ الأفواه من
علامة العلماء والبحر الذي
يا أيها العلم الذي أوصافه
شهد الزمان لنا بأنك فردُهُ
يا أوحده العصر الذي عُقدت على
لا غرَوَ أن أهدي إليك رقائقِي
ليس القريض سوى تأثرِ خاطرٍ
تمسي المحاسن وهي فيه بواعثُ
غررٌ على الأيام لولاها لما
لم تبرح الشعراءُ صرعى نشوةٍ

ألقيتُ بين يديّ سواك بواكري
كان الكمال إذا سلّوتك عاذري
وغدوت أعذبَ منهلٍ للخاطرِ
وسموتَ بين بصائرٍ وبواصرِ
بأعزّ نفسٍ كلَّ خلقٍ باهرِ
في الخطب يهزأ بالحسامِ الباترِ
كلّ البريّة بالثناءِ العاطرِ
لا ينتهي مثل البحار لآخرِ
أضحت رياضَ قرائحٍ وضمائرِ
من كلِّ بادٍ في الأنام وحاضرِ
تقديمه في الفضل خيرُ خلاصرِ
وأنا رقيقٌ^(١) فضائلٍ ومآثرِ
مما به للمرءِ قرّةُ ناظرِ
للشعر بين مُسبّبٍ ومُبأشرِ
لاحت وجوه الدهر غير بواصرِ
برحيقها من سالفٍ ومعاصرِ

(١) الرقيق: العبد المملوك.

فإذا انجلت في مثل ذاتك مرة
يا من غدا بعوارفٍ ومعارفٍ
أهديك بعضًا من عقيق قريحتي
أبيات إحسانٍ وليس جميعها
قد جادها صوب الصبا وينشرها
درجت معي أطوار عمرٍ وأصلٍ
قد باكرتني قبل صادق فجره
أوحت إلى قلبي الهوى فشعرت إذ
فمضيت بين كمائلٍ ومفاخرٍ
ما قلت ذا فخرًا ولا عجبًا وما
لكن لترفق غير مأمورٍ بها
إن تَأْتَنِي عَفْوًا فكم هذبتها
مكنتها بعد النزاع وكم حكمت
حتى أتت من بعد تربيتي لها
عَوَّضْتُ ما خسرته من حسنٍ بما
فكن الوصيَّ على يتامى ناظمٍ
أهديتها لا كي تليق وطالما
هي دون ما يُهدى إليك وإنما

كنتَ ألاحقَ بكلِّ مقولٍ^(١) شاكرٍ
يزري على لجج العُباب الزاخرِ
يا بحرُ لكن لا أقول جواهري
من كلِّ بيتٍ بالمحاسن عامرٍ
نمَّ الصَّبا عن كلِّ عَرَفٍ^(٢) ذافرٍ^(٣)
ما جاش من يومٍ بليلٍ ساهرٍ
مذ كنت من أعوامه في العاشرِ
غصن الصبابة لا يـل لهاصرٍ
ومشيت بين خمائلٍ وأزاهرٍ
من معجبٍ في نظمها أو فاخرٍ
فلكم خطت طورًا النيل الحاضرِ
من سَخَف لفظٍ أو رويٍّ نافرٍ
قلقَ القداح بدت بكفي ياسرٍ
حسبي وإن لم تغدُ ملءَ محاجري
رُفَعَتْ إليك فلم أكن بالخاسرِ
وبنات فكرٍ في ثناك قواصرِ
قبل الكبيرُ هديَّةً من صاغرٍ
مثلي على ما فاق ليس بقادرٍ

الدراعي

شكيب أرسلان

(١) المقول: اللسان.

(٢) العَرَف: الطَّيْب.

(٣) الذَّفر: (هنا) ذكيّ الريح (الرائحة).

قال في العلم والعصر

وأنشدها في محفل مدرسة الحكمة

عما بصباح العلم رغداً وأنعمنا
قد انصاح صبح السعد في ليل نحسه
وثاب إليه العلم عدواً بعوده
فأصبح داجي أفقه اليوم زاهراً
وأينع ذاوي روضه اليوم بعد أن
ترنح عطف السعد منه بُعيد ما
وباتت غصون العزّ تخطر عندما
لعمرك إنّ الشرق رُدَّ بهاؤه
وعاد إليه الفضل والعود أحمدُ
وما الشرق إلاّ ذلك الشرق لم يزل
فإن نابَه^(١) يوماً من الدهر صرفُه^(٢)
وإما تطش دُهم الليالي سهامه
وإن فاتته للفضل غيثٌ فإنما
وإن تعرّه الأحداث من بعد بسطةٍ
وإن يك يوماً سَوْدُ الجهل أفقه
نجوم علومٍ أخجلت بضياؤها

بربعِ ظلامِ الجهل عنه تصرّماً
فغادره شيئاً فشيئاً مهزماً
إليه فلا لومٌ إذا ما تلوماً
وقد كان زاهي أفقه قبل مظلماً
تصوّح من عصف البوارح في الحمى
رأى لثغور العلم فيه تبسّماً
رأت فوقها طير المعارف حوماً
فيرفل في ثوب السناء منمنماً
عليه إذا كان الغياب مذمّماً
مدى الدهر أعلام العلى متسنّماً
فلم تكُ إلاّ برهةً فتثلّماً
فهيّات لم تسلبه للحظّ أسهماً
توخّى إليه الرّجع جمّاً فعثماً
فأيّ الورى لم يلق بؤسى وأنعمنا
فقد طالما في الفضل أطلع أنجماً
نجوم ضياءٍ لحن في كبد السما

(١) نابَه وانتابه: أصابه.

(٢) صرّف الدهر: نواتبه وحدثاته.

بهنَّ اهتدى في سيره كلُّ بارجٍ
 رجالٌ بهم جادَ الزمان وعَلَّه
 أقامهم في الشرق يُحيون شأنه
 همُ الملأُ الأخيار والعصبة الأولى
 تظلم منه الفخر قبل مجيئهم
 لكم أرهفوا بالجدِّ للمجد مخدماً^(١)
 وكم صرفوا وجه الصروف عن الورى
 وكم سهَّلوا حزنًا علا وثنيَّة
 وسلُّوا من الآراء أبيض صارماً
 أماطوا قناع المكرِّمات وقد جلُّوا
 وأعلُّوا منار الرشد في أفق شرقهم
 وأجروا ينابيع المعارف في الملا
 وشادوا أصولاً للفنون وأوضحوا
 فنعم رجال الشرق قوماً ومعشراً
 جروا في رهان الفضل في أول المدى
 ولم يرهبوا من دونها في جهادهم
 فهم أسسواركن الحضارة في الورى
 وهم أكنهوا سرَّ المعارف أولاً
 فلما أحلَّ الله فيهم قضاءه

توغل في بحر الكيان الذي طمى
 على مثل هذا الجود يوماً تندماً
 فأذهل عمّا نال عاداً وجرحهما
 رأينا لعمرى الرُّشد فيهم مُجسماً
 فجاءوا فلماً أثقلوه تظلماً
 وكم أرغفوا بالنبل للفضل مخطماً^(٢)
 وكم عَفَّروا بالحزم للدهر مرغماً
 وكم بدَّلوا بالشهد صاباً وعلقماً
 ففلُّوا من الأرزاء بحراً عرمرماً
 مُحياً المعالي بعد أن كان أسحماً^(٣)
 وخلُّوا سبيلاً للمآثر أقوماً
 فطال بها نبت المعاني وقد نما
 لها سُبلاً أضحت إلى النُجح سلماً
 إلى جدِّهم أصل المعالي قد انتمى
 سباقاً كما أجريت أجردَ شيطماً^(٤)
 خطاراً^(٥) فقد خالوا التوقِّي تقحُّماً
 ولم يفعلوا إلَّا لندرك مغنماً
 وهم عرفوا نفع العلوم مقدماً
 ووافاهم داعي الردى مُتخرِّماً

(١) المخدَّم: القاطع من السيوف.

(٢) المِخْطَم: الأنف.

(٣) الأسحَم: السحاب الأسود.

(٤) الشَّيْطَم: الطويل من الخيل.

(٥) الخطار: (على غير القياس) الأخطار.

طوتهم أيادي البين من بعد أن رموا
فغار ضياءُ الشرق عند غيارهم
ودالت إلى الغرب العلوم مع العلى
وأوجف ركب السعي في طلب العلا
فهادنه صرّف الزمان مسالمًا
وباتت بلاد الشرق من بعد عزّها
إلى أن تجلّى طالعُ العصر بعد أن
فثابت لدى إشراقه الهمم التي
عن العلم حقّ العلم بالفعل ظاهرٍ
وعفّت على ما كان قبلاً وذلّت
فإن يك خسف الرشق أضحى محللاً
ألا يا بني الأوطان إنَّ عليكم
عليكم بها فاسعوا لها وتشبّوها
ومن قصرت أيديه فليسع طوقه^(١)
وقد نكتفي بالطلّ إن بان وابل
ولا سيّما العلم الشريف فإنّا
أما نحن من سنّوا المآثر واقتفى
ألم نعل أعلام العلوم بقطرنا
ألم نكُ أهل الأوليّة في العلى

(١) المبدي المعيد: الله سبحانه.

(٢) اكتمى: استتر.

(٣) سعى الشخص طوقه: أي جُهدته وإمكانه.

(٤) المَفرَم: الدّين.

من الهمّة الشّماء أبعد مُرتمى
وأظلم وجه الشرق وقتًا وأقتما
كما حكم المُبدي المعيد^(١) وأبرما
فكان بذّا الجري الجواد المُصمّمَا
ونوّله الخير الأتمّ المعممّا
كأنّ لم تُل مجدًا ولم تحوِ مُغرما
تحجّب عن تلك الجوانب وأكتمى^(٢)
عن العلم قبلاً قد تقاعسن نُوما
فذلك للألباب قد كان ألزما
جماح زمان قد طغى وتجّرما
لديه فما كان الفلاح محرّما
إلى السعي في تلك المعالي التقدّمَا
فمن يتشبّه بالكرام تكرّما
ومن لم يجد ماءً بأرض تيمّمَا
ونحجوا اعورار العين خيراً من العمى
نرى نيله جدًّا على الكلّ مغرما
مآثرنا منْ بَعْدَنَا حاز مُستَمى
على حين حدّ السيف يرعف بالدمّا
ليالي لم نشني عن المجد مغرما^(٤)

بلى نحن كنّا أهلها فأزالنا
وما زال أهل الغرب يدرون قدرنا
متى يذكر الأفضالَ فيهم خطيهم
فلا تحسبونا قد عرينا وطالما
وهم أثروا عنا العلوم فهذبوا
تباروا بعلمٍ بينهم وتنافسوا
وقد بلغوا من باذخ العزّ منزلاً
إذا نظر الشرقيّ حال صلاحهم
فيا وطني حتّام تلبث غافلاً
ألم تدرِ بالغربيّ في الأرض سائحاً
فلله درُّ العلم إنَّ جداءه
لكم نال من فخرٍ وأيد صاغراً
وكم حلّ من عيٍّ وأطلق حُبسةً
فمن يعتصم بالعلم يظفرُ بهْذيه
إذ العلم هذا الحقّ ما فيه شبهةٌ
ومن عزّ دون العلم شأننا فإنّه
فنو السيف يلقي العزّ حيناً ومفرداً
ومن نال أخطار اليراع فإنّما
فسعداً لمن في حلبة العلم قد جرى

زمانٌ توخّى حيفنا وتحكّما
من الفضل ما أبدوا لدى الدهر معجماً
على منبرٍ صلّى علينا وسلّماً
جررنا من الفضل الرداء المرقّماً
فجرّوا علينا مطرف المجد مُعلّماً
فلا جرّم أن العلم سرٌّ فاشكّما^(١)
يظلّ لسان الحال عنه مترجّماً
بكي صاحبي منها دماً سالَ عندما^(٢)
وحَتّام يا شرقي أراك مهوّماً
على سابح^(٣) من علمه ليس مُلجّماً
لَمِمّا يفوق العارض المتسجّماً
وكم عالٍ من فقرٍ وقلْد مُعدّما
وكم فلّ من غيٍّ وأنطق أبكّما
فلم يكُ غير العلم شيئاً ليعصّما
وحسبك بالحقّ المُبين معلّماً
لسوف يلاقي أمره متحتّماً
وذو العلم يلقي العزّ دهرًا وتوأمًا
ستقرن كفاء يراعًا وصيلّما^(٤)
وسحقاً لمن في حلبة العلم أحجّما

(١) أشكّم فلاناً: أعطاه، والشكّم: العطاء أو الأجر والجزاء.

(٢) العنّدم: خشب نبات، صباغه أحمر كالدم.

(٣) السابح: الحصان (الجواد).

(٤) الصلّيم: السيف.

وما ذلّ من يهوى العلوم وإنّما
سما بالذي كان الحضيض مقرّه
فما يبلغ المنطق وصف جدائه
فحثوا مطايا العزم كي تظفروا به
فلا منية إلاّ ونلتهم أعزّها
لئن تبذلوا فيه النفيس فغيركم
وما غيركم والله إلاّ أصولكم
وقوم هدا في الحق هدي جدودكم
أولئك قد سادوا وأقصى نكاية
بعلم إذا ما بات فيهم متوجّجا
فإمّا لعمرى قدوة بمعاصر
ولا نحسب الأحوال وهي عوارض
وإمّا نصبنا في سبيل جهادنا
وقد أشرع الدرب الموصّل نحو ذا
فلا صدفت فتياننا عن وُلوجه
ويُرتقُ فتق^(٣) الشرق بعد اتّساعه
فإنّ الفتى من زان مسقط رأسه
فذاك الذي في بُردة الفضل ينثني
فإنّ ينتظم شمل الرجال بقطرنا
لأنّ نجاح الصقع في حُسن أهله

(١) تسود: صار سيّداً.

(٢) روق الأعصم: قرن الوعل، يضرب لكلّ غاية بعيدة المنال.

(٣) رتق الفتق: أصلحه، وكذلك رفاً.

تسود^(١) من للعلم كان متيماً
فطنّب من فوق الدراري مخيماً
ولو كان كلّ الكون في وصفه فما
تنالوا بيمن العصر منه الميمما
ولو أنّها باتت على روق أعصما^(٢)
لإحرازه هلك النفوس تجشّما
نخبر عنهم لا حديثاً مرجّما
إلى أن غدوا الأعلى في الأمر مثلما
لنا فيهم القاب عِلج وأعجما
فيا طالما قد كان فينا معمّما
وإمّا تراث للذي صار أعظما
تُغيّر في أصل المبادي فنسأما
فأيّ قرار لا يقابل مخرما
بما شفّع الرحمن فينا وألهما
ليغدو بهم رث البلاد مرّمما
ويُرفى غطاءه بعدما قد تشرّما
بما ناله من حكمة وتعلّما
وليس الفتى من بالعقيق تختّما
ترتب فيه أمرنا وتنظّما
إذا كان أمر الودّ في القوم مُحكّما

وكانوا كما الأعضاء في الجسم فاعتدى
فيشتدُّ أزر القوم بعد انحلاله
إذا نبتغي علماً بدون تضافرٍ
وكلَّ امرئٍ عن قومه متخلفٌ
فكونوا كجسمٍ واحدٍ إن تألَّمت
تفوزوا بتذليل الصعاب إذا عصت
وتحظوا بأعلاق المنى وتُحققوا
هو العصر وافى ضاحكاً عن فنونه
تبدَّى وهذا الجهل في الناس سائدٌ
وراح على الدنيا ينثُ بدائعاً
بكم معشر الحضار تزدان أرضنا
تُجلّون عن أن تُرشدوا من ممثلي
كفى عصركم فخراً وعزاً إذا ادَّعى
ليجهد في استرجاع رونق شرقنا
فلا زال في عصر الخلافة قائماً
ينثُ عليه الخافقان بعدله

على الكلّ منهم خيرُهُ متقسّماً
إذا شدَّ من عقد التضافرِ محزماً
إذا فاتَّباع الجهل قد كان أحزماً
فلا يعدمنّ الدهر للوطءِ منسِماً
له عضلةٌ تلقى الجميع تألماً
وتقووا على ذا الدهرِ إمّا تهضماً
بهمتكم من عصرنا ما توسّماً
وقد كان من قبلِ عليكم تأجماً
فاطرق منه هيبةٌ وتَحشّماً
فهزَّ أخا عشقٍ ورنّح ضيغماً
ويصحّ عرض الخسف فيها مكلاً
ولكنّها ذكرى لما ليس مُبهما
أميرَ الورى عبد الحميد المعظماً
وتجديد ما من مجده قد تهلّماً
لما أناد من أمرِ العباد مقوماً
ثناءً جميلاً بالدعاءِ مُختماً



وقال في مثل ذلك عند

حضور امتحان المدرسة السلطانية

بدورٌ بأفق العلم هذي المواسمُ
لتغدو بها عين الفلاح قريرةً
يقدر فيها العلم ما هو كاسبٌ
فتتج ما قد حاول الجهد في العلى
شهودٌ على صدق الفعال أمانةً
مضامير أقران النباهة والنهى
هو الجدّ حتى البعد للقرب سابقٌ
وحتى ترى ما كان في نيّله الرجا
وهل يبلغ الآمال إلا مجاهدٌ
وهل دون غاي^(١) الجهد تُدرك غايةً
وكيف يُرجى الوصل من ليس يمتطي
ولا بدّ من غوص الفتى قعر لجّةٍ
ومن مدرك من فاته وهو قاعدٌ
وما النفع من جيش تعبى صفوفه
فإنّ تمام الجهد للنّجح واجبٌ
وإنّ المسمّى العقل في المرء صاحبٌ
على البدر قد لاحت لهنّ مواسمُ
وتبدو ثغور السعد وهي بواسمُ
ويعرف فيها الفضل ما هو غانمُ
وتُسفر عمّا باشرته العزائمُ
ولكن قضاةً بالسباق حواكمُ
يميّزُ مرغومٌ لديها وراغمُ
وحتى الخوافي خلفهنّ القوادمُ
صريماً قد التفت عليه الصرائم^(٢)
وهل يطرد الأهوال إلا مقاومُ
ودون اخترام النفس تعنو المخارمُ
وكيف يزيل القرن من لا يصادمُ
لتُخرج غُرّاًن الآلي الخضارمُ
ومن لاحق من جازه وهو نائمُ
إذا لازمت أغمادهنّ المخازمُ
وليس يسوغ الصّدّ عمّا يلائمُ
لعلمٍ غدت منه عليه رتائم^(٣)

(١) الصرائم، مفردا الصريمة: وهي القطعة من الليل.

(٢) غاي، مفردا غاية: تقول غاي وغايات.

(٣) رتائم، مفردا رتيمة: وهو خيط يُشدّ على الإصبع ليستذكر به صاحبه أمراً.

فأجدرٍ بِخِلٍّ أَنْ يَصَاحِبَ خَلَهُ
وما خيرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْغُلَّ أَخْتَهَا
وللعقل طول العمر للعلم صبوةٌ
أليفان لا ينفك كلٌّ مَتِيماً
فإنَّ عُدَّ حقاً أفضل الناس عالم
وإن أمكنت من دون ذا العلم عَزَّةٌ
فلم نرَ شعباً في البرية عاكفاً
وأصبح في بحبوحة العزِّ راتعاً
كما عزَّ بالعلم الأعراب قبلنا
ليالي لا أملاك إلا ملوكهم
تقدَّمنا منهم رجالٌ تقدَّموا
رجالٌ مضوا لم تُلهِهم عن علومهم
بهم أشرقت تلك الديار وأزهرت
قد استخرجوا درَّ المعارف بالعنا
فمنهم بأثار العدو صوائفٌ
لقد أوسعوا الأمرين فتحاً كأنما
فغنت رُهام^(٣) الطير فوق رياضهم
وسادوا العدى في كلِّ أمرٍ فأصبحت
وأصبح منهم هؤلاء على الثرى

ولا يترك الملزوم ما هو لازمُ
وما نفع سيفٍ لم يؤيِّده قائمُ
بلا سلوةٍ والإلف بالإلف هائمُ
بصاحبه تعيى لديه اللوائمُ
فأفضل منه عاقلٌ وهو عالمُ
فبالعلم أسنى ما تسود العوالمُ
على العلم إلا هادنته الصواكم^(١)
يعزُّ وتعنو من سواه المراغمُ
فدلت وهابتهم لذاك الأعاجمُ
تعدُّ ولا تيجان إلا العمائمُ
وسادوا وما في القوم إلا ضبارم^(٢)
وشغل النهى غاراتهم والملاحمُ
بأقطارنا أنجادها والتهائمُ
وموج العوادي حولها متلاطمُ
ومنهم لآثار العلوم معالمُ
مكارمهم في الحاليتين مغارمُ
وأنت عليهم في النزال القشاعم^(٤)
بأيديهم أمصارهم والعواصمُ
كما سكنت بطن التراب الأراقمُ

(١) الصواكم: صواكم الدهر، ما يصيب من نوائبه ومصائبه.

(٢) الضبارم: الأسد.

(٣) الرُهام: ما لا يصيد من الطير.

(٤) القشاعم، مفردا قشعَم: وهو النسر المُسنَّ.

يخافون أمر العرب حتّى كأنما
 ولم يكُ إلاّ العلم علةُ ذا العلا
 فمن يعتصم بالعلم يُمسِ معزّزاً
 إذا ما تأملت الزمان رأيتَه
 فإن عدّ كسب العلم فينا فريضةً
 وهل نرتضي ذا اليوم ذلاً بتركه
 لعمرى لقد كانت لنا بجدودنا
 فلا غرّو أن نقتص آثار مجدهم
 ولم لا نرجي كلّ فوز وما لنا
 ونعلم أنّا إن نجدّ نجدّ وذا
 وكيف يُرى نيل الفلاح بدونه
 بعصر يفوت القوت فيه مُعدهُ
 وقد نهضت كلّ الخواطر للعلی
 فكلُّ فخارٍ ناهل الفكر حائم^(١)
 فعزّماً بني الأوطان فالجهد واجبٌ
 فقد قيض الرحمن فينا ذرائعاً
 ويومٍ هو المشهود أيامنا به
 لدى مشهدٍ يستوقف الركبَ عن ظمّا
 تناهب فيه الحمد من كلّ جانبٍ
 بهم رجع الفضل الأصيل لأهله
 وهل ناجعٌ بالأمر إلاّ رجاله

لهيبتهم فيهم رقى وطلاسمُ
 فجادهم ما لا تجود الغمائمُ
 ومن يفتنّ عنه تطأه المناسمُ
 بكلّ نجاحٍ في العباد يساهمُ
 فكلّ جهالات الأنام محارمُ
 إذا ساد فيه جيلنا المتقدّمُ
 مآثر في حقّ القصور مآثمُ
 طرائقهم قدامنا والمناجمُ
 سوى الفضل في جنب الزمان جرائمُ
 مُجربٌ أمرٍ ليس فيه مزاعمُ
 ويأمل دون الجدّ ذا النيل حازمُ
 ويعدم ورد الماء من لا يزاحمُ
 وزادت جيوشاً في الصدور الشكائمُ
 له وعليه طائر الذهن حائمُ
 بذّا وبحول الله فالنصر قادمُ
 وقامت لهذا الفضل فينا دعائمُ
 مقلّدةٌ أجيادها والمعاصمُ
 وتسكن من جفلٍ إليه النعائمُ
 كرام صنوف المجد فيهم مقاسمُ
 وعادت إلى أصحابهنّ المكارمُ
 وهل ساجعٌ بالأيك إلاّ الحمائمُ

(١) حاتم: عطشان، وحائم (الثانية) للطير: يستدير في الفضاء.

وهل يتحرى الفضل إلا عميدهُ
فسيقيا لروضٍ للمعارف ناضرٍ
لأطياره في العلم شدو وإنما
يضوع له في الأرض عرفُ معارفٍ
سلامٌ على السلطان أمّا مرامهُ
سليل بني عثمان أمّا جداؤهُ
أطاع له البرّان شرقٌ ومغربٌ
له بين أعباءِ الخلافة في العلى
أوامرُهُ فعلٌ مضى بلا مرّا
أقام أمور العرش بعدَ تظاهرات
وقامَ بأمر المُلْك حقّ قيامهِ
فسدَ ثغور المُلْك بعد انثلامها
وأحكم إجراء العدالة في الورى
فيومًا تراه وهو للرزق قاسمٌ
يسهّد جفنا لا يطيب له الكرى
فلا زال بدرًا نوره متكاملٌ
يعيد لنا عزّ الخلافة عهدهُ
تضيء على الدنيا مطالع شكرهِ

وهل تسكن الآجام إلا الضراغمُ
بها وعليه عارض الفضل ساجمُ
به الطائر المحكي في القول جائمُ
ثناءً على عُرفِ الخليفة دائمُ
فنفعٌ وأمّا شغلُهُ فالعظائمُ
فغيثٌ وأمّا عزمُهُ فلهاذمٌ^(١)
ودانت له في العُدوتين^(٢) الأناسمُ
صرائمُ إلا أنهنّ صوارمُ
وتنكص عن فعل المضي الجوازمُ
عليه خُطوبٌ للظهور قواصمُ
يدافع عنه تارةً ويهاجمُ
وجاز إلى دار الوغى وهو ثالمُ
وعمت له كلّ العباد مراحمُ
ويومًا نراه وهو للخطب حاسمُ
وفي أرض عثمان ظليمٌ وظالمُ
وغيثًا علينا غيمهُ متراكمُ
ويغبط الإسلام إذ هو سالمُ
وتعطر فيه بالدعاء الخواتمُ

(١) اللهازم، مفردُها اللّهزم: كل شيء من سنانٍ وسيفٍ قاطع.

(٢) العُدوة: المكان المتباعد.

وقال

من الدهر تشكو أم على الدهر تعبُ
وما أنت إلا عتب دهرٍ إذا غدا
شكيُّ بلا قاضٍ شجيُّ بلا أسى
يلاقي الأسى في صدره كلَّ مذهبٍ
هو المرءُ في كفِّ الزمان مقلَّبُ
تولَّد في الدنيا حليف مصائبٍ
يصاحبها وهي العداة وإنَّه
إذا نقصت من كلِّ عزٍّ حظوظه
طريد ليالٍ بات في كفِّ طاردٍ
فبيناً يُسام الخسف من كلِّ وجهةٍ
فللَّه يا دنيا حياتك كربَةٌ
رأيتك محض الغشِّ في محض قدرةٍ
وإنِّي وإن ضاقت عليَّ مذاهبي
أرى بك من نكدي وصبري عجائباً
فهل فيك ضيمٌ مثل بُعد أحبَّتي
بكيت عليه وانتحبت ليالياً
فكم ليلةٍ منها قضيتُ مسامراً
إلى جانب الورقاء تندب في الدجى

وما صاحب الأيام إلا معذبُ
له الدهر معتوباً فلا الدهر مُعتبُ
إذا بات في دنياه يُعتبُ يتعبُ
متى ضاق عن ذا المرء في الأرض مذهبُ
يقاسي عذاب الموت والدهر يلعبُ
فلم يُغن عنه حرصه والتجنُّبُ
لخسف بأن تشنا^(١) الذي أنت تصحبُ
فاسهمه من نكبةٍ ليس تغلبُ
ومطلوب دهرٍ عند من هو يطلبُ
إذا هو في بطن الضريح مُغيَّبُ
وفيك غراب البين لا زال ينعبُ
فلا منك رهبان ولا فيك أرغبُ
لديك فصدري من فنائك أرحبُ
وأعجب من حالي وحالك أعجبُ
مضى ذلك الأمر الذي أتهيبُ
فلم يُجدني ما كنت أبكي وأنحبُ
نجوم السما طوراً تضيء وتغربُ
شجَّين طول الليل نشكو ونندبُ

(١) تشنا: تبغض مع عداوة.

تنوح على البلوى وتشكو وإنها
تشبُّ شرارات الأسى بترائي
وقد كنتُ لا أبغي خمود صبابتي
بصدري حرَّ الشوق بردٌ يلذ لي
أبى الله أن أهوى السرور وإنني
لئن عذبَ التعذيب لي قبل ذا النوى
فيا ليت شعري هل أرى الدهر مرةً
أليست لتصفو منه يوماً سرائرُ
وهل أنظر الأيام يوماً وما بها
أما تحفظ الأيام مني وقيةً
فقد طال وصفي نكدها غير كاذبٍ
فتبَّأ لها من مُصمياتٍ سهامها
هي الدُّجن أماً صاعقات خطوبها
قضى قبلنا الكنديُّ أحمدُ حقبةً
وإنني وإن أكثرت منها تظلمًا
على أنها الدنيا إذا شئتُ وصفها
وإنني إن لم تُخيني غير صبوةٍ
سأشكرها إذ إنَّها مذ حدائتي
وقد تجذنتني^(٢) الحادثات وأدبت
ولكنَّها مني تمارس شدةً

لتعجم شكواها وأشكو فأعربُ
ويطفئها من ماءٍ عيني صيبُ
وأزجر طرفي إذ يجفُّ وينضبُ
وعندي ورد الدَّمع والله طيبُ
على غير صوت النوح أشجى وأطربُ
بحبي فهل بعد النوى ليس يعذبُ
لدى غفلةٍ عن نكبتني يتنكبُ
فيحلوا لي طعمٌ وينساغُ مشربُ
على شرفي يومٌ جريمٌ ومُذنبُ
وتغضب مني مثلما أن أغضبُ
ألا ليتها تسعى بردٌ وأكذبُ
ولا ينفع الإنسان منها التائبُ^(١)
فصدقُ وأما البرق منها فخلبُ
يُعنفها في شعره ويؤنبُ
فلست بما أشهرت من ذاك أطنبُ
وإن لم أشأ تُملي عليَّ وأكتبُ
فكم ناشني منها إلى اليوم مخلبُ
لقد عودتني الصبر وهو مُحَبَّبُ
وليس كمثل الحادقات مؤدَّبُ
وقد عجمت عُودي^(٣) فعودي أصلبُ

(١) تائب: لبس الإثب، وهو قميص بغير كُمين، ويريد به الدرع.

(٢) تجذنتني: جرّبتني وأحكمتني.

(٣) عجم العود: عَضّه ليعلم صلابته من رخاوته، بمعنى اختبره.

وما عدت من شدة وبراعة
ولكنه لا نفع فيها لصابر
محاكية للبحر تعلوه جيفة
فيعدم فيها الحظ من يستحقه
ويحظى بها بالجد من لا يرومه
وذاك لعمرى كله يغضب النهي
إذا الحق لم يصبح على الكل سائدا
وإنَّ عدم الحق المبين نصيره
وإن لم تكن فينا على الخير عصة
فليس بمغنٍ للكريم اتساعها
لكم بت أنضي همتي لأقيمه
فما زال للأبصار تحت ستائر
لقد قلت ما قد قلت لا عن مآرب
وإنني من القوم الذين هم هم
عتاق المعالي قد تسامت جلودهم
لهم نسبة في أقعس المجد عرقها
وأصحابهم فيها الفصاحة والحجى^(١)
بلور إذا الهامات بالبيض عمت
بحور إذا الأزراء ألفت جيرانها^(٢)

ولكن من لاقت أشد وأنجب
إذا لم يكن منها لعمرى مهرب
وفيه نفيس الدر في القعر يرسب
ويحرم فيها الكسب من يتكسب
ويشوى بها بالسهم من لا يصوب
ويوغر في صدر الهمام ويلهب
فليس لحر في البرية مأرب
فما يرتضي بالعيش مرء مهذب
ففيما سواه ساء ما تتعصب
إذا كان فيها الحق كالمال ينهب
وأظهره في بعض أمر ويحجب
إذا زال عنه غيب جن غيب
أجل أنا من مثل ذاك وأحسب
إذا غاب منهم كوكب لاح كوكب
على الشم من أنسل الشيخ يعرب
لها منزل فوق السماك مطنب
وبذل الله^(٣) والمشرقي المذرب^(٤)
ليوث إذا الهامات بالبيض تضرب
غيوث إذا الأعوام في القوم تجذب

(١) الحجى: العقل.

(٢) الله: أفضل العطايا وأجزلها، والمراد بها هنا النفس أو الروح.

(٣) المشرقي والمذرب: السيف المسنون.

(٤) ألفت الأزراء جيرانها بالقوم: كناية عن أن المصائب نزلت وحلت بهم بانفعالها.

فياصِلُ حقُّ بالبيان وتارة
لهم حسبٌ يحكي الشموس وضوحه
فإن كنت منسوبًا إليهم فإنها
فدون انتساب المجد للمرء والعلى
إذا كنت ممَّن قال ذلك موقنًا
فما دمت حيًّا في الزمان فلم تزل
نعم أنا لا رأسٌ يطاع فيتقى
أهمُّ بأشياءٍ كثارٍ ودونها
ويصعب جمع الماء والنار في يدٍ
أرى الفتح يدنو كلما أنا ساكنٌ
وقد غادرت قلبي العوارض حائرًا
تواردُ أنواعًا كثارًا وكلُّها

فياصِلُ إذ دار الأَصمُ المكعَّبُ^(١)
يزاحم منه للكواكب منكبُ
إليهم لتعزى المكرمات وتُنسبُ
لعمرك لا يغنيه أمٌ ولا أبُ
فإنِّي من يسعى لأمرٍ وينصبُ
عليَّ حقوقٌ ليس منهنَّ أوجبُ
ولكنني عضو يهيج فيعطبُ
من البعد في ذي الحال عنقاءُ مغربٍ^(٢)
على أن جمع الجدِّ والفهم أصعبُ
ويبعد عني كلما أنا أقربُ
هو القلب من تلك الحوادث قُلَّبُ^(٣)
تؤثر في القلب اللطيف وتنشبُ

(١) الأَصمُ المكعَّبُ: من صفات السيف.

(٢) عنقاء مغرب: طير أسطوري لم يره أحد، وهو مثل يضربه العرب للقاصي والمجهول.

(٣) قُلَّبُ: متقلَّب.

وقال متغزلاً بالحسن المعنوي مفتخرًا بأصحابه

مال الصببا بعواطفِ النشوانِ
ولوى الغرامُ عنائه نحو اللوا
وهوى الهوى بالقلب بين أعقة^(١)
فغدا يراوح من معاهدها التي
يلتبي اللصاب^(٢) من الشعاب ويتحي
في كل منعطف وكل ثنية
ويح المحب لقد تهتك في الهوى
أجرى العقيق بطرفه وبنى باو
صب^(٣) ألم به الهوى فمضى به
أنذرته سوء المصير فقال لي
أطلقت للقلب العنان فهمت لا
لهفي عليه عدت بمهجته الظبا
بين البوارق والصفوف زواحف^(٤)
طلب المحاسن في الخيام ودونها

مئل الصبا بمعاطف الأغصانِ
وبدا الحنين لأبرق الحنانِ
ومتالع^(٥) ومطالع ورعان^(٦)
في نجد بين معالم ومغانِ
من منزل الجرعا^(٧) سفوح البان^(٨)
يبدو له شجن من الأشجانِ
فرعاه في سر وفي إعلانِ
تاد الضلوع مضارب الكُثبان^(٩)
للحسن تحت أسنة الخرصان^(١٠)
إن الصبابة عزة الفتیانِ
ألوى ولست لذا العنان بشانِ
حبا إلى حيث الظبي بمكانِ
تحت البيارق والرماح دوانِ
ضرب يطيح سواعد الشجعانِ

(١) عَقّ الولد والده: عصاه، فهو عقوق.

(٢) متالع: جبل.

(٣) الرعان، مفردا الرعن: وهو أنف يتقدم الجبل. ويريد أن الحب هوى بالقلب في غير مكان من الصحراء، حيث نشأ الغزل العذري.

(٤) اللصاب، مفردا اللصب: مضيق الوادي.

(٥) الجرعا: رمل مستوية لا نبت فيها.

(٦) البان: شجر ينبت في السفوح، يشبهون به القامة.

(٧) الكُثبان، مفردا كتيب: وهو التل من الرمل.

(٨) الخرصان، مفردا الخرص: أي الرمح القصير السنان.

وإذا هوى نَجْدٍ تحكَّم في فتى
وإذا تأملت الغرام رأيته
هيهات ليس لعاشق أمانة
وإذا العواسل^(١) دون معسول اللّمي
وإذا الحدود القانيات تعرضت
وإذا الأسود وقد تردت في الحمى
وإذا رجال كئائب النعمان قد
وإذا الأعزُّ الأيهم^(٢) الغيسان^(٣) قد
حال تطيش بها العقول وربّما
تعيي فؤاد الأحوذى^(٤) كأنه
ما أن يقاوم بأسها بطل ولو
تغشى مقاصير العظام ولم تكن
عمّت فإن فانت عديم القلب بالوجدان ما فاته بالبرهان
لكنّ ما أودى بعُدّة حبه
وترى القلوب على المحاسن أقبلت
وترى إلى وصل الحبيب حنينها
كيف الخلاف وللؤاد تأثّر

جعل الردى في حيز النسيان
في الخلق لم يُخلق لقلب جبان
يسعى إليها في طريق أمان
يزداد معها القلب في الخفقان
للحبّ سال لها النجيع القاني
صرعى أمام كوانس الغزلان^(٥)
ذلت لعزّ شقائق النعمان
أمسى رقيق الأهيف الغيساني
أخبت ذكاء ثواقب الأذهان
مما أصيب صريع خمر دنان
حازت يداه أعزّة العقبان
عنها تعزّ مناسك الرهبان
عمّت فإن فانت عديم القلب بالوجدان ما فاته بالبرهان
لم يختلف بشعوره اثنان
مثل الدلاء جُذِبْنَ بالأشطان^(٦)
يحكي حنين النّجب^(٧) للأعطان^(٨)
بجميع ما مرّت به العينان

(١) العواسل: الرماح اللينة.

(٢) كَسَّ الغزال: دخل كناسه (أي بيته).

(٣) الأيهم: الجريء الذي لا يستطاع دفعه.

(٤) الغيسان: حدة الشباب وتأتي الناعم.

(٥) الأحوذى: السريع في كل ما أخذ فيه.

(٦) الأشطان، مفردها الشطن: وهو الحبل.

(٧) النّجب: كرام الإبل.

(٨) الأعطان، مفردها العطن: والعطن للإبل كالوطن للناس.

ولقد أُحِبُّ من الظباءِ مُهْفَهَفًا
قد فرَّ من غُرَفِ الجنانِ وإنَّني
أو كيف لا أهوى الجمال وقد بدا
قسمًا ببهجته وسافر وجهه
بيدي لي اليوم الصُّدودَ وطالما
أيَّام أغصان الشباب نواضرُ
والأمر أمري والسعادة موردِي
أقضي لُبانات الفؤاد منعمًا
بصفاء أوقاتٍ ووصل أحبةٍ
هاتيك أيَّامٍ قضيت وإنَّني
وقصمتُ ظهر الدهر بعد عُتُوهِ
وأبدتُ من دنيائي كلَّ ملمةٍ
ورغمتُ أنف الحادثات بصولةٍ
ونضيت من غمد الشَّكيمة عزيمةً
وقذفت في مأتى العظامِ همَّةً
وقطعتُ أوصال العوائق في المنى
وركضتُ خيلي في النجاح فلحرزت
أنا كلَّ ذاك وللكناية موضعُ
ولقد أريد بذكر أيَّام الصبا
الأولين السابقين ومن بهم
الطاهرين الطيبين ومن همُ

هو من قبيل الحُور والولدانِ
أدعو ليرضى الله عن رضوانِ
من نور ذاك العالم الربَّاني
ما كنت مقتدرًا على السُّلوانِ
قبلاً نعمتُ بحسنه الفتَّانِ
والعشق دأبي والصبابة شاني
والناس ناسي والزمان زماني
وأجرُ ذيل التائه الجدلانِ
وشراب أكواب وعزف قيانِ
أمنتها من طارق الحدثانِ
وطعنتُ مهجة بؤسه بسنانِ
وسللت من يميني كلَّ يمانِ
راعت قلوب الأسدِ في الغيرانِ
في الدهر تفري أصلد الصَّوانِ
تسمو مصاعدها على كيوان^(١)
وصدعتُ شعب الضدِّ والعدوانِ
بفراستي قصبًا بكلَّ رهانِ
إن تبدُّ حاجةً حالةً لكنانِ
قومًا خلَّوا في سالف الأزمانِ
في المجد فخر الدين والأوطانِ
عذر الزمان وبهجة الأكوانِ

(١) كيوان: اسم نجم.

وكفاهم أن قد تكوّن منهم
هو ذلك الرّجل المعروف بعثه
الجوهر الفرد الذي قد أشرقت
عين الوجود اللامع النور الذي
العاقب الإكليل مصباح الهدى
هو أحمد^(١) المحمود من في حلّه
فالله يشهد أنّ طه المُجْتَبَى
واذكر صحابة صاحب المعراج من
الراشدين العالمين إلى الهدى
هم عصبّة الدين الحنيف وشيعةُ الشرع الشريف وفِتيّةُ الإيمانِ
تلقَى أبا بكرٍ بصدرهم أنبرى
وترى أبا حفص^(٢) يقيم المسجد الـ
يرمي الممالك بالجيوش وقد غدت
ضربَ القياصرة العظام بصارمٍ
فغنت له بالرغم شُمُّ أنوفهم
وأباد فارسَ سيفُ سعد^(٣) وأذعنت
وقضى الإلهُ علاءَ ذادةِ دينه

إنسانُ عين حقيقة الإنسانِ
للعالمين برحمة الرحمانِ
شمس الحقيقة منه بالتبيانِ
ما لاح مثل سناه للأعيانِ
والصادق المبعوث بالفرقان^(١)
كنف الوجود تشرف الثقلان^(٢)
هو خيرٌ من سارت به قدمانِ
حازوا السباق بأول الميدانِ
والناشرين شريعة القرآنِ
هم عصبّة الدين الحنيف وشيعةُ الشرع الشريف وفِتيّةُ الإيمانِ
يَهْدِي الألى رجعوا إلى الكفرانِ
أقصى بهمته على أركانِ
في قبضتيه شواسعُ البلدانِ
أنسى البريّة سيف^(٥) في غُمدان^(٦)
وخلأ له كِسرى من الإيوانِ
مصرٌ لعمر^(٨) أيّما إذعانِ
بالنصر والجيشان يلتقيانِ

(١) الفرقان: القرآن.

(٢) أحمد: رسول الله (ﷺ).

(٣) الثقلان: الجنّ والإنس.

(٤) أبو حفص: هو (أبو حفص البلّوطي)، من فرسان قرطبة. أسّس دولة إسلامية عاصمتها الخندق، بعد خروجه من قرطبة سنة ٨١٨م.

(٥) يريد (سيف بن ذي يزن)، المتوفى سنة ٥٧٤م.

(٦) غُمدان: قصر قديم في صنعاء.

(٧) هو (سعد بن أبي وقاص)، المتوفى سنة ٦٧٥م. من أبطال الصحابة، فتح بلاد فارس، وبنى الكوفة.

(٨) (عمر بن العاص)، المتوفى سنة ٦٦٤م. قائد مسلم شهير فتح مصر، وبنى القسطنطينية.

فَالْهَدْيُ فِيهِمْ ضَارِبٌ أَطْنَابَهُ
وَالدِّينَ تَعْصِفُ بِالْمَمَالِكِ رِيحُهُ
بِجِهَادِ قَوْمٍ أَصْبَحَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِيهِمْ أَبُو الْحَسَنِينِ صَفْحَةُ سَيْفِهِ
قَدْ كَانَ لَيْثَ عَرِينَةٍ وَفَوَّادَهُ
وَافَى مَنَازِلَ فِي الْعُلُومِ تَقَطَّعَتْ
فَلَكُمْ حُوتُ تِلْكَ الصَّحَابَةِ سَادَةٌ
صَرَفُوا إِلَى الْأَرْوَاحِ جُلَّ عَنَائِهِمْ
أَسْيَافُ حَقٍّ بِالْهَدَايَةِ قَطَّعَتْ
حَقَّ الْفَخَارِ بِهِمْ لِكُلِّ مُوَحِّدٍ
فَإِذْكَ فَتُوحَاتُ الْعُقُولِ بِرَشْدِهِمْ
وَإِذْكَ لَهُمْ فَتْحُ الْمَمَالِكِ فِي الْوَرَى
مِنْ مَشْرِقٍ ذَاقَ النِّكَالَ وَمَغْرِبٍ
هُمْ قُدُوءٌ لِلْعَالَمِينَ بِهَا أَهْتَدَى
أَهْلُ الْخِلَافَةِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ
بَلَّغُوا جِدَارَ الصِّينِ مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ
وَتَرَى حِذَاءً^(١) فَرُوقَ وَقَعَ سَيُوفُهُمْ
وَالْغَزْنَويَّةُ^(٢) يُوغِلُونَ بِزَحْفِهِمْ
وَبَنُو أُمَيَّةٍ فِي الْجَزِيرَةِ حَكَّمُوا

وَالْحَقَّ مَلَقَ فِي الْوَرَى بِجِرَانِ
عَمَّا يُزَلُّ مَوَاقِفَ الْبَهْتَانِ
أَبَدًا بِجَيْدِ الدَّهْرِ عَقْدَ جُؤْمَانِ
فَجَرُّ يُنَوِّرُ لَيْلَ كُلِّ طَعَانِ
بِحَقَائِقِ الْأَكْوَانِ بِحَرِّ مَعَانِ
عَنْ دَرْكِهِنَّ نِيَاطُ كُلِّ جَنَانِ
غُرًّا مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ
وَتَجَانَفُوا^(٣) عَنْ خِدْمَةِ الْأَبْدَانِ
بَيْنَ الْعِبَادِ هَوَادِي الْأَوْثَانِ
لَثَبَتْ مَجْدَهُمْ بِكُلِّ أَوَانِ
تَهْدِي لِحَقِّ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَكُلِّ لِسَانِ
طَلَعَتْ عَلَيْهِ كَوَاكِبُ الْفَرَسَانِ
شُمُّ الْمَعَاطِسِ مِنْ أَلْيِ السُّلْطَانِ
بَعْدَ الْخِلَائِفِ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ
أُخْرَى تَخْطُوا شَاهِقَ الْبِيرَانِ^(٤)
وَتَجَاوُبُ الْأَصْدَاءِ فِي السُّودَانِ
فِي السُّنْدِ آوَنَةٌ وَهَنْدِسْتَانِ
أَمْضَى ظِبَاهِهِمْ فِي ذَوِي التَّيْجَانِ

(١) جَنَفَ عَنْ الْأَمْرِ: عَدَلَ عَنْهُ.

(٢) بِيرَان: قَرْيَةٌ قَرِبَ سَمَرْقَنْدَ.

(٣) حِذَاءً: مُحَازَاةً.

(٤) الْغَزْنَويُّونَ: سَلَالَةُ مِنَ الْمَمَالِكِ الْأَثَرَاكِ، حَكَمَتْ شَرْقِيَّ إِيرَانَ وَأَفْغَانِسْتَانَ.

وأنظر بني أيوب لَمَّا أعملوا
 وصلاح دين الله أنزل بطشه
 ولواء يوسف تاشفين^(٢) بمغرب
 ثمَّ السلاجقة العظام وإثرهم
 سيف الصناديد المساعير^(٣) المغا
 ما كان يُنْصَى في وغي إلا ملا ال
 سلُّ عنه عثمان القديم وإن تملُّ
 وانظر مراد وبا يزيد بغربه
 وارمق أبا الفتح الأغرَّ محمدًا
 في مأزقٍ والجانبان تصادما
 والخيـل باشرت البحار فردَّها
 والبيض تخطب في الرؤوس رواكعًا
 حتَّى تصاغرت البلاد لأمره
 وغدا سليمٌ ربَّ كلِّ إيالةٍ
 وأتى سليمانُ الزمان بفيلقٍ
 مادت لهيبته البسيطةُ ميـدةً
 وسعت عزائمُه الزمان وقائعًا

في المعتدين عواسل المُرَّانِ^(١)
 بالقوم في حطّين كلَّ هوانٍ
 خَرَّتْ له الأعداءُ للأذقانِ
 أصوات ضرب الصَّيلم العثماني
 وير القروم^(٤) المعشر الغرَّانِ
 دنيا برعب صليله الرنَّانِ
 لزيادةٍ فاعطِف على أرخانٍ^(٥)
 قادا الأعادي كلّها بعـرانٍ^(٦)
 أخنى على جرثومة الرومانِ
 وتقابل البرَّانِ والبحرانِ
 الفرسان فامتعتْ على الأرسانِ
 طورًا وتنطق ألسنُ النيرانِ
 واستسلمت ليديه مثل العاني
 في الشرق مَحْمِيًّا بهِ الحرَّمانِ
 خضعت له الأفلاك في الدَّورانِ
 لم تُبقِ من أحدٍ ومن ثهلانٍ^(٧)
 من كلِّ حربٍ في العداة عَوانٍ^(٨)

(١) المُرَّان: الرماح.

(٢) يوسف تاشفين، المتوفى سنة ١١٠٦ م. سلطان المغرب الأقصى وأول الملوك المرابطين وأشهرهم.

(٣) المساعير: موقدو نار الحرب.

(٤) القروم: (هنا) الأبطال.

(٥) أرخان: هي أرتجان، مدينة في فارس.

(٦) عـران: موضع في بلاد نجد، قرب اليمامة.

(٧) أُنْحد وثهلان: جبلان.

(٨) حربٌ عَوان: حرب شديدة.

تفدي بني عثمان كل قبيلة
حملوا الخلافة والبلاد طرائق
فغدت وقد صارت لهم أطرافها
ولهم بها العدل الذي أبدى لنا
حتى إذا ما أمنوا فيه الورى
فبمثلهم فلنفتخر وبهديهم
في السالفين من الأفاضل عبرة
في كل يوم من برازهم^(١) لنا
أو لا نجيب ونحن أحياء في الورى
أن نعتذر بزماننا وطباعه
إن المبادئ لا تزال فواعلاً
فيها يكون إلى الحصول توسل
يغدو الزمان بها على أحواله
والعقل لا يعنو لحالات إذا
وإذا تحصّلت الشجاعة لم تكن
فلنعلمن فالرأي في نيل المنى

في الأرض أبرزها لنا العصران
في كف أهل البغي والعصيان
تيها تجر ضوافي الأردن
كيف استواء الشاة والسرحان^(٢)
ردوا غرارهم^(٣) إلى الأجفان^(٤)
فلنهد بعد تقاعد وتوان
تجلو المراء بأقصر الإمعان
داع ينبه خاطر الغفلان
يوماً ندا الأجنان في الأجنان^(٥)
فهي العوارض لم تُخصر بأن
ما بين ما يتعاقب الملّوان^(٦)
وبدون ذلك علّة الحرمان
بالناس من زيد ومن نقصان
ما شاء أوقعها بحال تفان
عند المحصل غاية الإمكان
هو أول وهي المحل الثاني

(١) السرحان: الذئب.

(٢) الغرار (من السيف): حدة.

(٣) الأجفان: الأغمام.

(٤) البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة؛ ويريد بها: الدار الأخرى.

(٥) الأجنان: الأموات، والأجنان (الثانية): القبور.

(٦) الملّوان: الليل والنهار.

وله

أقلُّ عذابي ما تصاب مقاتلي
وأسعرُ ناري ما تكنُ جوانحي
تفيض دموعي كلما لاح بارقُ
وإنِّي لتشجونني الحمائم إن شدتُ
سواجعُ بالشكوى يُنحَن على النوى
يبكين أوقات الصفاء التي خلت
وإنِّي لَصَبُّ لم أزل أندبُ اللقا
حنيني إلى عهد الوصال وأهله
ولكنَّه قد دمَّت الحبَّ مهجتي
تفرَّدتُ في طبعٍ إلى الحبِّ نازعٍ
فيطربني همس القصائر^(١) في الحمى
وأهوى لحاظِ العين معسولةِ اللمي
وأختال في غيِّ الهوى غير عابئٍ
وإنِّي ليجري في جناني هوى الحمى
فيا ظبية الكشبان حسنك فاتني

وأضبعُ^(٢) نصحي ما تقول عواذلي
واهْداء حالي ما تهيجُ بلابلي^(٣)
وتطرب من مرِّ النسيم شمائلي
على عذبات البان عند الأصائلِ
نواعمُ لا يعرفن غير الخمائلِ
وأبكي لأيام الصبَاء الرواحلِ
بدمعٍ طويل الذيل هامٌّ وهاملٍ
وسهدي على هجر الخليط^(٤) المزائلِ^(٥)
وروقِ إعنات الغرام مناهلي
وقلبٍ على حكم الصبابة نازلٍ
ويعجبني في الرمل هديُّ المطافلِ^(٦)
وأعشق ربَّات الخصور النواحلِ
وأمرح في بذخ الصبا غير سائلٍ
وحبُّ الدُّمى مجرى الدِّمَا في مفاصلي
ويا غادة الجرعاء حبَّك قاتلي

(١) الضبع (هنا): السوء والشر.

(٢) البلايل: شدة الهمِّ ووسواس الصدر.

(٣) الخليط: الصديق.

(٤) زابل: فارَقَ.

(٥) القصائر، مفردا القصيرة والقصورة، من النساء: المحبوسة في بيتها لا يُسمح لها بالخروج.

(٦) المطافل، مفردا المُطْفِل: الناقة التي وضعت أولادها حديثاً، تتمهل في سيرها ليلحق بها أولادها.

ويا هذه الأعطافِ رمحكِ طاعني
ويا عاذلي أقصرُ فلست بوازعي
سامنع عن عيني لأجلك نومها
وأجرى بمضمار الهوى متهتكًا
لأعشقُ حتَّى ليس لي من معادلٍ
وأرهن هذا القلب للغيد والمهى
وما الحبَّ إلَّا خلق كلَّ مهذبٍ
وما الحسن إلَّا دون كلَّ عرينةٍ
إذا كلَّ طرفٍ ذابلٌ^(٣) عند ذابلٍ
تجول جياذ الخيل في كلَّ عَرصةٍ^(٤)
وتحمي سيوف الهند عن كلَّ كلةٍ
أزور خيام الربع غير مُواربٍ
وإنِّي من الشعب الذين إذا سعوا
ألم ترَهم بالأمس حزمًا وقوَّةً
فما آجلٌ يرجونه غير عاجلٍ
لقد خيَّبوأ آمال كلَّ معارضٍ
بشقرٍ سراحيبٍ^(٥) وسُمرٍ ذوابلٍ
غداةً بلاد الناس شرقًا ومغربًا

ويا هذه الألحاظِ سحركِ بابلي
أطلتَ بتعنيفي على غير طائلٍ
وأقسم ما تبكيه بين المنازلِ
أجرر في شوطي فضول الغلائلِ
وأكلفُ حتَّى ليس لي من مماثلٍ
واجعل هذا العقل مَهر العقائلِ
وما الوجد إلَّا شأن كلَّ حُلاحِلٍ^(١)
وما الوصل إلَّا في مجال الغوائلِ
وكلَّ قوامٍ عاسلٍ^(٢) دون عاسلٍ
وأنضي إليها كلَّ يومٍ رواحلي
لقد طالما علَّقت فيها حمائلي
وأغشى ديار الحيّ غير مُخاتلٍ
يجلون قدرًا عن حؤول الحوائلِ
مفاعيلهم في الأمر قبل المِقاولِ
وما عاجلٌ يابونه غير آجلٍ
وقد زلزلوا أقدام كلَّ مُنازلٍ
وبيضٍ أصاليتٍ^(٦) وصُفرٍ عياطلٍ^(٧)
أطلَّوا على أقطارها بالحجافلِ

(١) الحُلاحِل: السيّد في عشيرته، الشجاع التام.

(٢) الطّرف الذابل: من علامات حُسْن المرأة.

(٣) الذابل والعاسل: من أسماء الرمح.

(٤) العَرصة: ساحة الدار.

(٥) السراحيب: الخيل المتناسبة الأعضاء.

(٦) البيض الأصاليت: السيوف المصقولة الماضية.

(٧) العياطل: النوق الطوال.

لقد دكدكوا الأجبال فيها وشيدوا
سقوا تربة الأرضين سهلاً ومرقباً
أطاروا قلوب الكاشحين وأرقصوا
فقد جرّدوا في الله كلّ عزيمةٍ
وقد سحقوا بطشاً رؤوس عداتهم
فما زال منهم باخعاً كلّ عاملٍ
إلى أن ولوا بالسيف أقصى بلادهم
فهم خير من في الأرض سلّوا صوارماً
وهم خير من ضمّوا اليراع إلى القنا
لقد نشروا العلم الحقيقيّ في الورى
وقد خطبوا في الأرض بالحقّ من على
أزالوا سفاهات الشعوب وبدّلوا
وشادوا على تلك الرسوم حضارةً
فأصبح منهم عامراً كلّ غامرٍ
زها ونما نبت الوشيج بأرضهم
أولئك آباءى فجئني بمثلهم
رجالٌ لديهم راق جمع مناقبٍ
بدورٌ بأفاق الزمان أوافلٌ
أقاموا زماناً ثمّ مرّ عليهم
زماناً قضوه بالعلاء ولم تكن

سِواهُنَّ شُماً من غبار القساطل^(١)
من الدم بالأنهار لا بالجداولِ
فرائصهم من كلّ حافٍ وناعلِ
أطاشت عن السمحاء نبل المناضلِ
وقد نزّلوهم من رؤوس المعازلِ
وما زال فيهم عاملاً كلّ عاملِ
فلم يدعوا فيها مجالاً لجائلِ
وقادوا عتاق الخيل قُبّ الأياطل^(٢)
وهم خير حدّ بين حقّ وباطلِ
على حين تغلي الحربُ غلّي المراحلِ^(٣)
منابر عزّ من مُتون الصواهلِ
سفاسفهم بالمكرمات الجلائلِ
أقيمت على أسّ التقيّ والفضائلِ
وأضحى لديهم مُمرّ عاكلاً قاحلِ
وفي مُدّتهم زادت فنون الصياقلِ
والأفهم في الأرض خير القبائلِ
عفافٍ وأقدامٍ وجزمٍ ونائلِ
نحيبي على تلك البدور الأوافلِ
عتوّ الدواهي والليالي الدوائلِ
ليالي عُلاهم بالليالي القلائلِ

(١) القسطل: الغبار الساطع في الحرب، يريد كأنهم أقاموا منه جبلاً بدلاً من الجبال.

(٢) قُبّ الأياطل: صفة لأصائل الخيل، وهي من قُبّ الحَصَر أي دقّ وضمر، والأياطل: الحَصَر.

(٣) المراحل، مفردها المِرْجَل: القِنْدَر من نحاس يُطْبَخُ فيها.

كذلك قد كانت أوائل قومنا
ونُحيى رسوماً غادروا لاعتبارنا
أما نحن من حازوا الغنى بعقولهم
وقد كان منا كل نذْبٍ مُجَرَّبٍ
وكلّ همامٍ مشبع الحِجرِ راشدٍ
وكلّ إمامٍ كالغزاليّ وهو من
وكلّ حكيمٍ كالرئيس^(١) الذي جرى
وكلّ أريبٍ كأبن رشد^(٢) ومن على
وكلّ ملكٍ في الدروب مجاهدٍ
فبالشرق منهم كالرشيد وقومه
ولا تنسَ في وادي الفرات وجلّقٍ
ولا سادةً منهم محمّد جاعلٌ
لعمري إذا ندري الأمور فإنما
وغرُّ العلى فوق العوالي دواميًا
لنعم نداء الحرب في كلّ أمةٍ
لينشر من أكفانه كلّ ميّتٍ
فذلك أمرٌ لا يزال مجدّدًا
إذا ضاق عنه النثر فبالبحر واسعٌ

ألا ليتنا نبني بناءً الأوائلِ
فأصبح منها دارسًا كلُّ مائلٍ
وجادوا على كلّ الوري بالفواضلِ
بنور الحجى جالٍ دياجي المعاضلِ
موفق آراءٍ دليل مجاهلِ
إذا قال لم يترك مجالاً لقائلِ
وخلّى أرسطو خلفه بمراحلِ
هذه وكالرازي^(٣) شيخ الفطاحلِ
وكلّ أميرٍ للعداة مباسلِ
وبالغرب منهم ناصرٌ بعد داخلِ
وفي مصر آثار الصلاح وعادلِ
بقبضته البرّين دون مطاولِ
زوال العنا بين القنا والقنابلِ
ونيل المنيّ دون المنيّ^(٤) والمناصلِ
أناخ عليها دهرها بالكلاكلِ
ويوقظ من تهويمه كلّ غافلِ
نشاهده فليذكرن كلّ ذاهلِ
بنا والقوافي رافدات الفواصلِ

(١) الرئيس: لقب ابن سينا الفيلسوف والطبيب.

(٢) ابن رشد: الفيلسوف المعروف.

(٣) أبو بكر الرازي: أشهر أطباء الإسلام وفلاسفتهم.

(٤) المنيّ (بفتح الميم): الموت؛ وتؤنّث، فتقول: المنيّة.

وكتب

يا جمال الإسلام والإسلام
مثلما أنت في الحياة والآن
هكذا إن يصح في الأرض مجد
همم دونها الكواكب مثوى
قاذفات على المصاعب عزمًا
مثل هذا حويت يا رجل الأر
لم تزل تُحرز المحامد حتى
أنت فردٌ فيما شملت ولكن
لك نفس الأملاك في عزّة الـ
لك طبعٌ سامٍ ووجهٌ وسيمٌ
ورموزٌ ملء الحقائق طرًا
ويراعٌ كالغيث منه انسكاب
ومعانٍ لو أوحيت لجمادٍ
حيرت كل ذي حصاة^(٣) إلى أن
كل هذا حوى الجمال ووافى
كل حيٍّ لم يحذُ فضلك حذوا

صدّه عن هوى الجمال الملام
فحياة الفتى عليه حرام
دونه كل ما نرى أو هام
ومضاء من دونه الأيام
لو تبدّى تدكدك الأعلام^(١)
ض فماذا عسى يدلّ الكلام
كل حمدٍ له عليك ذمام
في اقتدار الجنان أنت لُهام^(٢)
أفلاك في جُود من يده الغمام
أدبر الظلم منهما والظلام
وعلومٌ فوق العلى أعلام
وذكاءٌ كالنار فيها ضرام
هزّه الشوق نحوها والغرام
قيل لا شك أنها إلهام
يا جمال الدنيا عليك السلام
كل ساعات عمره آثام

(١) الأعلام: الجبال.

(٢) اللُهام: الجيش الكثير "يريد أن الأفغاني كان أمةً وحدةً".

(٣) الحصاة: العقل.

فلتطاول بك الكواكب وليفخر بعلياك آدم^(١) لا سام^(٢)
وَتُجِيبُ ما تدعو إليه وإلّا
كلّ نفس قصد الفلاح عليها
فَلِحَقّ النفوس منّا اهتضام^(٣)
طلقاً^(٤) ليس تخلق الأنام^(٥)
فوق همّي وقوّة لا تُضام^(٦)
وعليها عليهم الإقدام^(٧)
لنقل مثل ذا ونحن قيام^(٨)
لا ننال العلى ونحن نيام^(٩)
لم يُسَوِّد عصام^(١٠) إلّا عصام^(١١)
أيّ يوم كنّا وخسفاً نسام^(١٢)
وتحكّم إذا أنت لست تلام^(١٣)
بعد ما أفطروا عليه وصاموا^(١٤)
ن إلهي مغيراً لو داموا^(١٥)
يا جمال الإسلام إنّي امرؤ ممّن عليهم والله ضاق الكظام^(١٦)
عبثاً يُجهز الزمان علينا
ليس يخلو الزمان يوماً من الـ
حالة عن فصّال أمثالها الـ
منك يُرجى يا سيّدي يا جمال الـ
أنت للمسلمين في دينهم حجة حقّ لغيرهم إلزام^(١٧)

(١) سام: ابن نوح.

(٢) الطلّف: الهين من كلّ شيء.

(٣) يريد: ما جعل عصام سيّداً غير عصاميّته، والعصاميّ: من شرف بنفسه لا بآبائه.

(٤) الكظام: مخرّج النّفس.

(٥) رمّ الحبل: تقطّع.

عَطَفَ النفس ما استطعت علينا
ما شككنا في أن تنال الأمانى
أعجبنا للفرس إذ بصنيعه
إظهر اليوم يا محمدُ وابهَرُ
وتغلب على العوائق واجعل
قاطعُ رأيك المسدّد في الد
فيك يأتي القريض منتظماً عف
ذا مجالٌ إن تجتنبه خناذيد^(١) الد
فامهر اليوم ما زفت قبولاً
خدم الدهر باب عزك بالإخ

نحن لولاك في الورى أيتامُ
سيدُّ أنت والزمان غلامُ
دولة اليوم حقك الإعظامُ
أنت في المشرقين بدرُّ تمامُ
كلّ ما لا يُرام ممّا يُرامُ
دهر الذي ليس يقطع الصمصامُ
وَا وتنساب وحدها الأقلامُ
قوافي فإنني الضرغام
يا جمالاً أنا به مُستهامُ
لاص ما واصل افتتاحاً ختامُ

(١) الخنازير: الشاعر المُجيد.

وكتب بها يمدح حضرة رأس الأساتذة وفخر الجهابذة

الشيخ محمد عبده المصري الشهير

لقلبي ما تهمني العيون وتأرقُ
وما كنتُ ممن يدخل العشق قلبه
وما كنتُ ممن يرشق السهم لحظه
أصبت به كلّ القلوب وإنّه
تركت الورى أسرى هواك وإنما
لديك استرقتهم من الطبع رقة
جذبت بهاتيك المعاني قلوبهم
وعذبتها بالحبّ ممّا فتنها
فقرّحها وجدا فتون قريحة
كلامٌ إذا ألقىته في جماعة
عليه من النور الإلهي مسحة
مناهل الطافٍ وأعين حكمة
يبيت بها غصن البلاغة ناضرا
سلامٌ على وجه الإمام محمدٍ
ولله دُرُّ البحر دُرُّ محمدٍ
وأخلاقه الغرّا إذا شئتُ وصفه

وللعين ما يبلي الفؤاد ويرهقُ
ولكنّ من يدري فنونك يعشقُ
فيهوى لذا لكن يراعك أرشقُ
لينضحها بالنبل قبل يفوق^(١)
أسيرك في ميدان فضلك مُطلقُ
فأنت لهم حقّا رقيقٌ ومعتقُ
وتيمها والله ذاك التأنقُ
فلم تك بالقلب المتيم ترفقُ
وشققها ذاك الكلام المشققُ
غلامك مثل اللؤلؤ الرطب ينسقُ
تكاد على أرجائه تتألقُ
تظلّ على روض المعارف تغدقُ
وريقا على نبت الفصاحة يسمقُ
محيّا به ماء الحيا يترقرقُ
تتوج منه للمعارف مفرقُ
وإن لم أشأ توحى إليّ وأنطقُ

(١) قَوْقَ السَّهْمِ: وَضَعَ قُوقَتَهُ فِي الْوَتَرِ لِيَرْمِيَ بِهِ، وَالْفُوقُ: مَشَقَّ رَأْسَ السَّهْمِ حَيْثُ يَقَعُ الْوَتَرُ.

ولكنني أثني عليه مقصراً
 إمامٌ بخصل العقل والنقل فائزٌ
 به فخر أهل الشرق طراً وإن يكن
 إذا ما أبرى في حلبة الفضل قصرت
 خطيب الورى بالحق للحق مظهرٌ
 إذا قام من فوق المنابر فاصلاً
 تميد الورى عند استماع خطابه
 فما قام بالحق الحنيفي صادعاً
 تدفق بحرًا بالمعاني فؤاده
 وفي لفظه للسكر كأس سلافة
 فكل لسان عن مزاياه عاجزٌ
 تعشقه كل القلوب كأنه
 له القلم المشهور يزري مداده
 يسيل بماء اللطف في هدي ملة
 عجائب مولى في محمد عبده
 سافخر في كل الأنام بأنني
 فجالست بدرًا نوره متكاملٌ
 وقمت لعمرى للزمان مخلصاً

ولي مقول^(١) فيمن سواه مذلق^(٢)
 سبوق لغايات حكيم محقق
 تشارك في حسنه غرب ومشرق
 حوالي مداه حلبة هن سبق
 ظهير وللبطالان مرد ومزهب
 فأي ضلال ليس يمحي ويمحق
 وتعجب للأعواد إذ ليس ثورق
 وللکفر شمل بات ليس يمزق
 على أنه كالأفق بالنور مشرق
 يدار على الأبواب وهو مروق
 وكل كلام في ثناء مشفق^(٣)
 بكل قلوب العالمين معلق
 بتبر إذا في مهرق هو مهرق^(٤)
 يظل على أعدائها يتبعق
 وربك يعطي ما يشاء ويرزق
 بنعماء جيدي بالنضار مطوق
 وحدثت بحرًا فضله متدقق
 لأنني بباهي فضله متربق^(٥)

(١) المقول: اللسان.

(٢) الذلق: الذرب أو الطلق.

(٣) مشفق: مقل.

(٤) المهرق: الصحيفة.

(٥) جاء في الحديث: "لكم العهد ما لم تأكلوا الرباق"، فشبّه ما يلزم العهد بالرباق، والأرباق: ما لازم الأعناق.

لئن قلت لن أدري مدى العمر مثله
لك الله يا مولاي هل من فضيلةٍ
خُلِقْتَ حليفاً للسيادة والعلی
إليك حشيتُ المدح علماً بأنه
وفي أملٍ أني لدى فعلٍ واجبٍ
فذاك فؤادٌ قد غدا مذ طحا به
وإنَّ الهوى قبل الفطام عرفته
إذا نال مثلي من كلامك لفضةً

بعلمٍ ولن أدري فهل أنا مُغْرَقٌ^(١)
بهذا الوری إلا بها أنتَ أَلْبَقُ
فكلُّ فواقٍ نلتَه بك أخلَقُ
ليعجبك المطبوع لا المُتَلَهْوِقُ^(٢)
أَسْكُنُ قلباً دونه بات يَخْفُقُ
نواكٍ على جمر الغضا يَتَحَرِّقُ
فهلاًّ الام اليومَ والعمر رَيِّقُ
تشرّفه فهو السعيد الموفّقُ

(١) مُغْرَقٌ (هنا): بمعنى مُبالغٍ.

(٢) التَّلَهْوِقُ: التَّمَلُّقُ.

وقال يمدح حضرة الوزير الأكبر علي باشا باي صاحب تونس الخضراء
ويقرّظ تأليفه المسمّى بمناهج التعريف في أصول التكليف

عُجْ بِاللَّصَابِ وَعُنُقُ اللَّيْلِ مَقْطُولٌ^(١)
تَرَى عَلَى الْمُنْحَنِ رِيَانَةً مَنَعَتْ
وَلَّتْ إِلَيْهِ وَقَلْبَ الصَّبِّ مُنْهَتَكُ
تَقْلُهَا مِنْ ذَوَاتِ الْخَفِّ لَاحِقَةٌ
مَا بَيْنَ رَائِمٍ مَرْمَاهَا وَمَرْبَعِهَا
إِنْ طَاشَ عَنْ مَبْتَغِيهَا سَهْمٌ مُقْلَتِهَا
تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي نَعَجٍ إِذَا التَفَتَتْ
أَضْحَى يُسْلِسِلُ مَاءَ الْحُسْنِ عَارِضُهَا
إِذَا أَسَاغَتْهُ مَرَشُوفًا لِعَاشِقِهَا
بِمَثَلِ مَا إِنْ غَدَتْ تَفْتَرُّ عَنْ شَنْبِ
بَاتَتْ سَعَادَ عَلَى ذَا كُلِّهِ وَغَدَتْ
إِذَا تَمَرَّ الصَّبَا فِي خَدْرِهَا غَلَسَا^(٢)
كَذَاكَ حَتَّى إِذَا شَمَسَ الضَّحَى طَلَعَتْ
قَامَتْ سَعَادٌ تَحِينَا فَمَا قَمَرُ

بصارم ابن ذكاء وهو مسلول
في مربع لم تُبلغه المراسيل
متيم إثرها لم يند مكبول
خمصانة^(٣) لا تباريها الأجافيل^(٤)
حي أخو البأس في واديه إجفيل^(٥)
فسهم تبعادها في القلب منصول
ففيه للشاربين الماء مبذول
كأنه منهل بالراح معلول
يومًا فما باذق^(٦) بالماء مقتول
كأن مرشفه بالشهد معسول
تضفو عليها من النعمى سراويل
راحت عليها من الريا مثاقيل
قامت ومنها وشاح الصدر محلول
على قضيب على الكتبان محمول

(١) المقطول: المقطوع.

(٢) خمصانة: ضامرة البطن، وهي السريعة من الإبل.

(٣) الأجافيل، مفردا الإجفيل: وهو النافر مسرعًا من الحيوان.

(٤) إجفيل: جبان.

(٥) الباذق: الخمرة، أو شاربها (دخيل من الفارسية).

(٦) الغلس: ظلمة آخر الليل.

جلت محاسن ما يُلفى لها مثل
نقول بدرٌ وغصنٌ كي نشبّهما
فلا يغرنك في مثلٍ لها طمعٌ
حتى إذا شُغف القلب الذي اجتذبتُ
يحاول الجهد كي يقتصر مدرجها
تجوب جُوز الفلا في كل ناحيةٍ
مرثومة^(٣) بالبرى^(٤) خلّت مخاطمها^(٥)
فاعطف على طللٍ بالجزع إن دمي
كانت لنا غرُّ أوقاتٍ مضت معها
تلك الليالي التي ما بتُ أذكرها
كنّا نهيمُ بها والعمر مقتبلٌ
في كلِّ وادٍ من الآرام ليس به
أمّا الليالي فقد عادت وهنّ بنا
ولّت سعادٌ وبُدلنا بها جزعاً
فلا يغرنك من دنياك زخرفها
إنّا نزلنا على وادي تضلل قد

وما لملتمسٍ منهنّ تنويلٌ
وإنّما قولنا يا صاح تمثيلٌ
فدون أمثالها العنقاء والغول
بانت سعادٌ فقلبي اليوم متبولٌ
وهل يطيق تباع العيس مغلولٌ
تزلُّ عن متنها رقطاع^(١) زهلول^(٢)
جذباً كما غودر الثوبُ الرعايل^(٦)
منها على طللٍ بالجزع^(٧) مطلول^(٨)
والخطبُ منهزمٌ والهَمّ معزولٌ
إلا شجيتُ وبى اهتاجت عقايل^(٩)
والعيش غصٌّ وربيع الأُس مأهولٌ
إلا أغنّ غَضِيض الطرف مكحولٌ
من بعد ما كنّ أطفالاً مطافيلُ
وكلّ شيءٍ له في الأرض تبديلُ
فما زخارفها إلا الأباطيلُ
تدفقت من حوالينا الأضاليلُ

(١) الرقطاع: حية خبيثة.

(٢) الزهلول: الأملس.

(٣) مرثومة: في أنفها بياض (من حُسن)، والرثم (مطلقاً): كسر الأنف.

(٤) البرى، مفرداً برة: وهي كلّ حلقةٍ من سوار وقِرط وخِلخال.

(٥) المخطم: الأنف.

(٦) ثوبٌ رعايل: ممزقة، لعله يريد أن هذه المرأة غدت نهياً لكل طامعٍ.

(٧) الجزع: محلة القوم.

(٨) مطلول: مهذور (طلّ الدم).

(٩) العقايل: الشدائد.

يَمْدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلورى شَرَكَا
فَمَنْ سعى عن طريق الغيِّ مبتعدَا
وَمَنْ تهافت عمدًا في ضلالته
كم زلزل الله من قومٍ لكفرهم
فليس تبرح للرحمن حاميةٌ
هل بايُ تونسَ إلا السيف جرَّدهُ
فاليوم للرشد بين الناس واسطةٌ
وللمعارف والآداب منتشرٌ
بكفٍّ أبلج ميمونٍ مطالعهُ
أشدَّ أوسع من في ذرعه سعةُ
مشبوب عزمٍ بحسنِ الحُدى متقدُّ
يلاحق القصد بالتسديد منتهجًا
إذا تغصَّف^(٥) جنح الخطب معتكرًا
من معشر المؤمنين الغرَّ محتدِه
ينقض كالنسر في الهيجا العوان وقد
في موطن زَاغت الأبصار فيه بما
فما تهزَّم من أبطاله صخبٌ
وقد يميلُ بزحفٍ للعراك فما

والناس منهم به ناجٍ ومحبولُ
فحبُلُ مسعاه بالخيرات موصولُ
فليعلمنَّ فعرش الكفر مثلولُ
قدمًا وأهلك جيلٌ قبله جيلُ
لتزهق البطل إنَّ البطل زحليلُ^(١)
في الأرض ربِّي فحدُّ البغي مفلولُ
وللتعسف والإلحاد تذليلُ
وللمعاضل تمهيدٌ وتسهيلُ
فخُمُ الجَناب وقِيلُ^(٢) قِيلُهُ القِيلُ^(٣)
طولاً وأطول من في باعه طولُ
فوءأده وبحبِّ الله مشغولُ
إذا انتحت هديَّة الساري العواويلُ^(٤)
فما على غيره في الكشف تعويلُ
لدى عمايته تعنو الأكاليلُ
تساقطت من حواليه الأراجيلُ
جالت بحومته الجرْدُ المهازيلُ^(٦)
إلا وأعداه مهزومٌ ومتلولُ
يلقاه أعداؤه إلا وهم ميلُ^(٧)

(١) الزحليل: المكان الضيق الزلق.

(٢) القِيل (بفتح القاف): الملك.

(٣) القِيل (بكسر القاف): التلَفُظ والجواب والغلبة، فهو المبتدئ والمُجيب والنافذ الكلمة.

(٤) العواويل، مفرداها العاقول: الأرض لا يُهتدى إليها.

(٥) تغصَّف (الليل): ألبسنا سواده.

(٦) الجرْد المهازيل: الخيل الضامرات.

(٧) الميل، مفرداها الأميل: وهو الذي يميل على السَّرج ولا يستوي عليه، وقيل: هو الجبان.

يخشون كَرَّاتِهِ اللَّاتِي إِذَا اعْتَرَضُوا
بِفَيْلَقٍ لَجِبٍ مِنْ كُلِّ مَلْتَمٍ
مَقْدَفٍ يَقْذِفُ الصَّادِي بِصَهْوَتِهِ
لِلَّهِ هَذِهِ عَلَى بَايِ الزَّمَانِ فَهَلْ
عَنْ مِثْلِ عَلَيْهِ كَفُّ الدَّهْرِ قَاصِرَةٌ
فَلَيْسَ يَنْضِي لِرُوعٍ عَضْبَ هِمَّتِهِ
وَلَيْسَ يَمْسُكُ عَنْ عَافٍ مُوَاهِبِهِ
مَا شَتَّتَ مِنْ هَمَمٍ شُمًّا وَمِنْ كَرَمٍ
وَمِنْ عَوَارِفٍ بَحْرِ لَا يَطَاوِلُهَا
وَمِنْ مَعَارِفٍ نَحْرِ فِي مَوَارِدِهَا
حَقَائِقُ طَيِّ ذَاكَ الصَّدْرِ مُحَرَّزَةٌ
تَزْهَوُ بِهِنَّ تَأْلِيفٌ مَفْرَدَةٌ
مِنْهَا مَنَاهِجٌ لِلتَّعْرِيفِ وَاضِحَةٌ
تَجْلُو بِفَصْلِ خَطَابٍ كُلِّ مَسْأَلَةٍ
اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا فَضْلُ سَيِّدِنَا
يَبْغِي جَمِيعَ الْوَرَى إِيفَاهَ دَيْنَ ثَنَا
وَكَيْفَ يَبْلُغُ حَقَّ الْوَصْفِ مَمْدُوحٌ
مَهْلًا أَبَا حَسَنِ نَجْلِ الْحُسَيْنِ فَمَا
تَزْهَوُ بِكُمْ تَوْنُسُ الْخَضِرَاءُ مَرْعَةٌ

تَخَاذَلُوا وَهُمْ مِنْهَا شَمَالِيلٌ^(١)
لَهُ صَدِيقٌ غَدَاةُ الْحَرْبِ عِزْرِيلُ
إِذَا عَلَا النَّقْعُ تَكْبِيرٌ وَتَهْلِيلُ
لِمِثْلِ مَحْصُولِهِ فِي الْمَجْدِ تَحْصِيلُ
وَأَعْيَنَ السَّخْطُ مِنْ حَسَّادِهِ حَوْلُ
إِلَّا وَتَنْجَابُ فِي الْحَالِ الْعِرَاقِيلُ
إِلَّا كَمَا يَمْسُكُ الْمَاءُ الْغَرَابِيلُ
طَامَ بِتَعْمِيمِهِ قَدْ أَبْطَلَ السُّوْلُ^(٢)
نَوَافِضُ فِي الْأَرْضِ أَلَا وَهُوَ مَفْضُولُ
يُرْوِي مِنَ الْعِلْمِ ظِمَانٌ وَمَغْلُولُ
عَلَى شَتَاتٍ فَمَعْقُولٌ وَمَنْقُولُ
عَلَى افْتِرَاقٍ فَتَجْمِيلٌ وَتَفْصِيلُ
يَدُلُّ سَالِكُهَا حَكْمٌ وَتَعْلِيلُ
عَوَصًا وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهَا الْأَقَاوِيلُ
فَأَيْنَ مِنْ وَصْفِهِ مَدْحٌ وَتَبْجِيلُ
فَيَعْجِزُونَ وَدَيْنَ الشُّكْرِ مَمْطُولُ
مَنْ سِرُّ غُنْصَرِهِ وَحْيٌ وَتَنْزِيلُ
أَنْتُمْ أَيَا سَادَتِي إِلَّا بِهَالِيلُ^(٣)
وَلَيْسَ يَزْعَبُ^(٤) فِي أَغْوَارِهَا النِّيلُ

(١) شماليل: متفرقون.

(٢) السُّوْلُ: السؤال عن حَسَنَةٍ، أو أُعْطِيَةٍ.

(٣) البهاليل، مفردا يُهْلَلُ: السيد الجامع لكلِّ خَيْرٍ.

(٤) زَعَبَ النهر: تَدَافَعَ سِيلُهُ فِي الْوَادِي وَمَلَأَهُ.

كفأكم شرقاً أهل الحسين فهل
أثني عليكم بتقصيري على أملٍ
وقد أعارض فيكم فارساً نكلاً^(١)
فيا مليكاً تقاصى في ممالكه
إن كنتَ بدرًا بأفق الغرب مُنبِجاً
فاسلم وعزُّك للأحلاف معتصمٌ
وارع الحنيفة البيضاء معتصماً

مُقصرٌ عنكم في الوصف معذولٌ
لعلَّ عذري عند الباي^(٢) مقبولٌ
لا يترك القرن إلا وهو مجدولٌ
لكنْ لنعمته في الأرض تظليلٌ
فالشرق من لطف ذاك النور مشمولٌ
من الرزايا وللأعداء تنكيلٌ
بالحق والله بالتوفيق مسؤلٌ

(١) باي: لقب تونسي.

(٢) الفارس النكل: الذي يدفع أعداءه ويُنتلهم، وهو الفارس الذي يغلبُ قِرْنَهُ.

وقال يمدح العالم العلامة الشيخ محمد عبده ويهنته بالأضحى

هل الدهر إلّا ذا النهار وضده
يدور فمن أيّ الجهات ابتدرته
ولا خير في يوم يمرّ على الفتى
فليست حياة المرء إلّا شهادة
إذا كان لا يختار تمجيد ربّه
وإلّا ففي دار الفناء ثناؤه
وحيّ غدا في ما سوى الروح ميّتا
ومن كان لا يوتي الجماعة نفعه
لعمرك ليس العمر في المرء عيشه
فأحجى به^(١) إجهاد ما بات فاقدا
فيغنيه عن رغد المعيشة شكره
كنا السيف معدوم وقد غاب نصله
وما الحمد إلّا الجدّ فهو وراءه
وهل قيمة الإنسان إلّا فعاله
ولولا اشتغال المرء ما ذاع ذكره

يعاود كلاً منهما الدهر نده
وتابعته تبدا به وتحدّه
إذا لم ينل فيه ثناً يستجدّه
على فضل مولاه فيظهر مجده
فإنّ الإله اختار ما فيه نكده
مقام وفي دار السعادة خلده
لقد حلّ عندي حيثما حلّ وأده
فاغفاله فيها سواء وعدّه
ولكن حقّ العمر في المرء حمده
لإحراز شيء ليس يحسن فقده
وليس بمغنيه عن الحمد رغده
وليس بمعدوم وغاب فرنده^(٢)
وما الجدّ إلّا الجدّ فهو معدّه
وهل قدره إلّا عناء وجهده
ولولا اشتعال العود ما ضاع^(٣) نده^(٤)

(١) أحجى به: أخلق به وأجدر، والحجى (لغة): العقل.

(٢) الإفرند: جواهر السيف وشبهه (دخيل من الفارسية).

(٣) ضاع (فعل ماض): تَوَضَّع وانتشر.

(٤) النَّد: عود طيب الرائحة.

فأجمل من خَصْبٍ بكفك شغلها
وأصلح من ذلِّ بنفسك موتها
كذا فلتكن تلك الحياة التي أرى
أودُّ بها خلقًا كثيرًا وإنَّما
تودُّ بنا الأيام كُلَّ غضاضةٍ
فلا سالمٌ من ريبها غير مُتَّقٍ
وهل كلَّ نفسٍ بالعلاءِ منوطةٌ
وما كلَّ حيٍّ نفسه كلَّ حيَّةٍ
لقد أثر المولى بنعماء أنفسًا
هو البدر لكنَّ المعالي سماؤه
هو الليث لكنَّ المحامد غابه
هو البحر عن كلِّ النقائص جزره
عزيزٌ اقتدارٍ في السباق إلى العلى
محيطٌ بأشتات العلوم جميعها
منلُّ الهدى السامي على القوم نوره
مجدِّدٌ روحٍ صار في وسط نزعهِ
حكيمٌ فلا تلهيه إلاَّ جواهرُ
إمامٌ فنون القول حتَّى كأنَّما
لقد ظلَّ سلطان الكلام بأسره
له قلمٌ يزري بكلِّ مهنِّدٍ

وأحسن من كحلٍ بطرفك سُهلُهُ
إذا كنت ممنَ مَورد العزِّ ورْدُهُ
والأفكم سهل على الحرِّ لحدُّهُ
أودُّ من الأيام ما لا تودُّهُ
يسوغ بها نكب الليب وضهدهُ^(١)
من الهمة العلياءِ أحكمَ سرْدُهُ
وهل كلَّ قلبٍ بالفضائل وجدُّهُ
وما كلَّ سيفٍ يقطع الهامَ حدُّهُ
فلا غرو أن يسعد محمد عبدهُ
هو النجم لكنَّ الفضيلة سعدهُ
هو السيف لكنَّ المكارم غمدهُ
ولكن إلى كلِّ الكمائل مدُّهُ
فما تره طورًا من المجد يَعْدُهُ
ففي أيِّ علم شئت يقدح زندهُ
يبيِّن به نهجُ الطريق وقصدهُ
وموضِحُ أمرٍ أقلع اليوم رُشدُهُ
غدا عبرة فيما سواهنَّ زهدهُ
تعلّمها مذ كان يحويه مهدهُ
فأعلامه الأقلام والكتب جُنْدُهُ
يصول على العادي به فيقْدُهُ

(١) صَهْدَهُ: ظَلَمَهُ وَقَهَرَهُ وَجَارَ عَلَيْهِ.

له في رهان المكرمات مآثرٌ
تردّي بأثواب المحامد كلّها
سما من صفات العلم والحلم حظّه
فمن يده غيث النوال وبحره
إلى كلّ ما يُسنى الثناء صباؤه
أيا من ورودي في البيان معينه
تُباهي البرايا مصر أنك نجلها
لديك رقيق الشعر يحلو نشيده
ويَفنّي مداد المرء فيك لدى الثنا
ومثلك من تُبدي المواسم فضله
فهنّاك الأضحى ولا زال عائدا
عليك من المولى يصبّ سلامه

كَبَتْ دونها قُبُ السباق وجُرْدُهُ
وفوّفَ من كلّ المحاسن بُرده
وعَمّ الورى في الطول والقول رفّه
ومن فمه عذب المقال وشهده
وعن كلّ ما يوءذي الكرامة صده
فأصبحتُ في مدحي له أستمده
ويَفخر هذا العصر أنك فردّه
وفيك دقيق الفكر يحسن نشده
وإن يكن البحر المحيط يمدّه
وفيها مع العليا يُجدّد عهده
عليك سعيدا دائما لك شكده^(١)
وفي قلبك الوقاد ينزل برده

(١) الشُّكْد: الجزاء والعطاء.

وقال يهنئ صاحب السعادة هولوا باشا العابد برءاسة نجله أحمد بك

على دائرة استئناف الجنحة في الأستانة

متى أنت يا عهد السلامة عائدُ
وأضنكني^(١) جسمٌ مدى الدهر واجدُ
سئمت الليالي أنها ليس تنشي
كأنَّ العوادي صائدٌ وهو صائب
توائب طوراً مهجتي وهي حيَّة
لعمرك كم من ليلة قد قضيتها
فوادي^(٢) حرَّانٌ وليلي ساهرٌ
وفي خاطري من وحشة وكآبة
وفي القلب وريح القلب أشياء جمَّة
ولكنَّ لي عزماً إذا ما دفعته
أصول به صول الكمي وإنَّها
إذا بتُّ في الأيام أعمل عَضْبَه
كذلك شاني في الثبات وإنني
رواسخ أطراف البيوت وإنَّها

فقد ملني والسقم آسٍ وعائدُ
عياءٌ وقلبٌ لي على الدهر واجدُ^(٣)
تُناصبُ أحوالي وإنِّي ذائدُ
سهاماً وأماكلي لديه الطرائدُ
وتنكبُ جسمي تارةً وهو بائدُ
كراسفٍ قيدٍ ساورته^(٤) الأساودُ^(٥)
وفكري حيرانٍ وطرفي ساهدُ
نوازعٌ ما في النفس معهنَّ راكدُ
تلين إذا ما صادمتها الجلامدُ
تيقنت أنَّ الدهر بالناس مائدُ
لتستدُّ من دون السيوف السواعدُ
تسالكُ الأصداً أين الشدائدُ
لتخطر في الآفاق مني القصائدُ
لكالظبيات^(٦) الباديات شواردُ

(١) الضنك: الضيق والشدَّة.

(٢) الوجْد: الشوق.

(٣) ساورته: واثبته.

(٤) الأساود: حَيَّاتٌ خبيثة.

(٥) فوادي: فوادي.

(٦) الظبيات: الغزلان، ويريد الإشارة إلى انتشار قصائده وشوارده في الآفاق.

تَحَرَّيْنِ أوصاف المآثر دَيْدَنَا^(١)
وأشرق بالنادي عليهنَّ سيِّدُ
وزير تباهى القول في وصف كُنْهه
تَنَنَّى القوافي في فسيح ثنائِه
له شيمٌ غرٌّ صِباحٌ وأنعمُ
تحلَّى بأنواع الكمال فلم يكن
فأفعاله للمحمَّدات مصائدُ
هو العابد الشهم الذي في وجوده
من السادة الغرِّ الذين لمجدهم
هُمامٌ أبو الأهوال تعنو لبطشه
صَوَّوْلٌ وأقران الختوف نواكصُ
يحنُّ إلى الهيجا له نصلٌ باترٍ
لنعم الخطاب السيف في حده الشفا
سمير العلى لم يبق في الأرض معرجُ
عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ
لك الحمد موصولٌ وأحمدٌ في الورى
فتى عطر الأرجا ثناءه وأوشكت
لقد ملأ الأقطار عدلاً فلا يرى
نفى النوم عن عينيه بثُّ عدالة
إذا نال في دار الخلافة منصباً

وهُنَّ لأقمار العلاءِ رواصدُ
مبارك ما تحت اللثامين عابدُ
وتاهت بنظمٍ في علاه الفرائدُ
كما تتهادى باللالى الولائدُ
رباحٌ بجيدِ الدهر منها قلائدُ
ليلقى به غير المحامدِ ناقدُ
وأخلاقه للمكرمات معاهدُ
على كرم الدهر المعاتب شاهدُ
غدت فوق أطباق النجوم مصاعدُ
نزلاً ليوث الغاب وهي حوارد^(٢)
عن الكرِّ والصرعى ثنا ومواحدُ
على صفحتيه للمنايا مواردُ
وما دونه إلا أئيمٌ وجاحدُ
لعلياء إلا أنت راقٍ وشائدُ
إلا في سبيل الله أنت المجاهدُ
أخو خلقٍ تُشتقُّ منه المحامدُ
تحدث عنه في الكمال الجوامدُ
بها حاكم عن منهج العدل حائدُ
يعودُ بها جفن الملا وهو راقدُ
تساوى الأداني بالهنا والأبعادُ

(١) الدَيْدَن: العادة، أو النهج والطريق.

(٢) الليوث الحوارد: الغواضب (الغاضبة).

لتهنأ به الدنيا ويجذل^(١) زماننا
وتُحرز به أقصى الأمانى محاكم
فلا زال في أيامه العدل ناشراً
ولا برحت آراؤه في سدادها
تزيد مع الأيام علياؤه وقد
يُهنيك يا فخر الموالى ارتقاؤه
إليك عروساً بالحياة خضيبه
رجوت وفاءً بالثنا غير عالم
فبتُ لعمرى مثل مَنْ مدَّ كفه
ولو أنني أدت معشار واجب
قهرت معاني الشعر فهي قواصر
تمتعت الدنيا بكونك بالمنى

ويرض على الأيام من هو حاقد
لها علمه في مسلك الرشد قائد
لأعلامه والحق في الخلق سائد
بهنّ لرايات النجاح معاهد
كفاه من العلياء أنك والد
مناصب تعي دونهنّ الأماجد
لبابك تسعى وهي عني رائد
بأن ذاك عني ما تُنَاط الفراقد
لكي يلمس الجوزا^(٢) بها وهو قاعد
لعاتد لي الأفلاك وهي حواسد
لديك ولكن في سواك زوائد
وتمت مع الدنيا لو أنك خالد

(١) الجذل: الفرع.

(٢) الجوزا: الجوزاء؛ ما لا مجاز بعده من الفلك.

وله تهنئة لحضرة الشيخ محمد عبده

بزفافه الميمون وهي بنت ساعتها

ماذا يحاول مثلي في قوافيه
من مدح من حين لاحت لي مكانته
تعنو المعاني لديه وهي صاغرة
تأتي سواء فتسمو فوق هامهم
ربُّ المقام الذي باتت تحف به
قد حازه والليالي من موانعه
بفكرة ما انتضى في الخطب صلمها
أذلَّ كلِّ جِماحٍ للزمان بها
وإنما الفكر إذ صحت مبادئه
فهو الذي كلُّ رأيٍ منه مُنبجٌ
من يكشف الأمر خافيه كظاهره
ما إن جلا علمه في مطلبٍ لبكٍ
مجددٌ روح هذا الدين منعشها
من منه دهرك ماضيه وحاليه
آلى على نفسه ألا يفارقها

وإن تكن جمعت كلَّ القوى فيه
من العلى لم أصوب رأيٍ مُدحيه^(١)
كأنَّها في البرايا من جواريه
وتنتحيه فلا ترقى مواطيه
غرُّ الفضائل تُعليه وتغليه
من دونه والعوادي من عواديهِ
إلاَّ تمكَّن قطعاً من هواديهِ
ولا حسامٌ ولا رمحٌ يُرويه
عن الجيوش غدا والله يُغنيه
في الروع عن كلِّ فجرٍ في حواشيه
ويلبغ القصد قاصيه كدانيهِ
إلاَّ وأسفر صبحاً عن دياجيهِ
من بعد ما بلغت منه تراقيهِ
مقلَّدٌ جيِّدُهُ بالفخر حاله
إلاَّ على مبداءٍ للدين يُحييه

(١) دحى (الشيء): بسطه.

فسل نجوم العلى عن شأو همته
لا أختشي أن أقل من ذا يساجله
إذ ينتضي قلماً كالعضب يظهره
أو إن يقل كَلِمًا تغدو وقائلها
فليس تتلو الورى من قوله غُرًّا
نالت فوادي رغباه فوائده
يا ليت مقدرتي في وصف حكمته
فكنت أشعر أهل الأرض قاطبةً
لكنني دون ذا مع ذاك معتمدٌ
إني امرؤ لم تكن تُحصى مطامعه
حتى راه فأمست دون مبلغه
وهو الذي لم يزل في الناس يعرفني
وإنه والذي سوى محمد من
ومن يشابه مولانا بحكمته
فهو الهمام الذي فخر القلوب به
المسترق قلوب الخلق منطقته
وقد غدا طالب التأهيل عن رُشدٍ
آتاه ربّي من النعمى موقرها
أراه انجال إنجاب وأسعده

والشرق والغرب فاسأل عن مساعيه
من ذا يساوره من ذا يساويه
على حسامٍ صقيل الحدّ ماضيه
ذا البحر يزري وذو تزري لآليه
إلا ونادوا جميعاً جلّ باريه
وبلّغتنى آمالي أماليه
كانت تعادل بين الناس حبيّه
إذ بت أهيمهم من فطرتي فيه
على مقالة أنّ الفعل أنويه
ولم يخلّ في الورى شيئاً ليكفيه
من كلّ مأثرة صرعى أمانيه
أعدّ لثم يديه غاية التيه
لم أرض عن ناظري حتى أرانيه^(١)
فلست آنف أني من مواليه
إذا ابتدا اللب يروي عن معانيه
إذا أفاض فلا حرّ بواديه
وشيمة الحرّ تأبى غير أهليه
إذ يمنح الفضل ربّي مستحقّه
بخفض عيش رفيع الشان ساميه

(١) أرانيه: أراني إيّاه.

ومدّ في عمره ذخراً لمِلّته
فهو الذي في الوري غُرَّان أنعمه

بالذود عن حرَم الإسلام يقضيه
قد أنطقني ارتجالاً في تهانيه

تاريخ

بارك الله لمولانا زفا
جئتُ فيه اليوم أرّخ قائلاً

فأقريناً للرِّفا والولد
حلّت الشمس بـبرج الأسد

١٣٠٤



وله رثاء لحرم حضرة صاحب الدولة

وإصا باشا متصرف لبنان الأفخم

بعذل وبياكي العين جارت عواذله
إذا دبَّجت خُضرَ الروابي هواطله
فأنأى من العنقاء ما أنت آمله
لتجفيف بحرٍ محوَر الأرض ساحله
لظى سَقَرٍ^(٢) يطفى الصّلا وهو آكله
شجياً فقد طابت لديّ مناهله
فهيّئات إصغائي لما أنت قائله
ألا فاعذلّني بالذي أنت عاقله
ولكنّما يستصغرُ الأمرَ جاهله
بما لم تكن تدريّه يوماً غوائله
كأنّ الردى لم يدرِ ما هو فاعله
تميد بها من ذا الزمان جلائله
على مثلها مات العلا وعقائله
تحلّى بها دهرًا من الدهر عاطله
بنعماء شخصٍ لا تُعدّ كمائله

أتنكر نبذَ النُّصح فيما تحاوله
وتحجوا نصيب الدمع ويحك منكراً
فأروذ^(١) فأقصرَ عمرك الله واتّدد
تحاول تجفيفاً لدمعِي كعامدٍ
وَإطفاء نارٍ بالحشى مثل من أتى
أيا لائمي في الحزن كلني للأسى
ولا تتعبن أو تعتبُن حيث لم أصح^(٣)
عذلت بما قد ظلتَ تجهل همّه
ولو كنت تدري ما الرزية لم تلم
مُصابٌ بدت للموت فيه شدائدُ
به ذهب اليوم الردى كلّ مذهبٍ
أزال بأفق المجد شمسَ فضيلةٍ
عقيلة صَوْنٍ قد أصيب بها العلى
تعطل خَسَفًا جيّدُ ذا الدهر بعدما
مضت فمضى منها إلى الله مُمتعاً

(١) أروذ في السّير: تمهل، ومنها فعل الأمر أروذ.

(٢) سَقَر: جهنّم.

(٣) أصاخ له: استمع وأنصت لصوت.

فقامت لها في كلّ حيّ نوادبٌ
 إلّا أنّ لبنان الأغرّ تخضّبت
 تمثّل دكّ الطور في صعقاته
 أمصرَ عنها يوم الثلثا وقد سرى
 تُصعدّ فيه الناس كلّ شرارةٍ
 فيا قبرها في الحازميّة فوقه
 سقتك شآبيب الرضى كلّ غدوةٍ
 أراحلةً من عالم الموت للبقا
 لك الله بالصبر الذي قد قضيته
 اتخذت الليالي النابغية مألّفًا
 وتصبر حتّى أصبح الداءُ عندها
 فوّح الردى كيف انبرى لاختطافها
 تخرّمها لا يرهّب البأس من حمى
 فلم يتهيّب للوزير بسالةً
 أقام السرايا فوق لبنان تنجلي
 أصيب لعمر الله ليس تفيده
 ولا غرّو فيه من مصابٍ مُعظمٍ
 وإنّ الذي جلّ الزمان بفضله
 لقد جلّ أن يخشى من الدهر بأسه
 وزيرٌ إذا قلّ الثناء فإنّما
 وإن عاذ فيه المستجير فإنّما

لحسن ثناءٍ يُفعم البرّ نائله
 رباه دمًا دمًا بكته قبائله
 دما دمه ممّا تميد معاقله
 بها نَعُشها كالفلّك والدمع حامله
 بما فيه قد ساوت ضحاه أصائله
 غطاءً من العفو المهيمن سادله
 وظلّ الحيا ينهل فوقك وابلّه
 ويا حبّذا من ذلك الحيّ راحله
 بداءٍ مدى السبع السنين يناضله
 فما شأن طرفٍ حالك الليل كاحله
 أواخره قد سُويّت وأوائله
 ولم تُدَمّ مُدّ مُدّت يدها أنامله
 وزيرٍ وفّت أسيافه وعوامله
 تسامت ولم تُغنّ الوزير مناصله
 فأين السرايا للحمام تُنازله
 فتيلًا على درءِ المصاب حجافله
 فما واثب الصّرغام إلّا ممائله
 لأحرى بأن هانت عليه نوازله
 بل الدهر يخشاه فليس يعادلّه
 فضائله موفورةٌ وفواضله
 شمائله بالالتفات شوامله

هنيئًا للبنان به أن ذكره
تولاه واصا حيث وصى^(١) أياديا
فدينك طرًا لا تطع باعث الأسي
وإن الذي قد صلتته يد القضا
فهل في قضاء الله تُنجيك حيلة
وهل كل شأن مُبتغيه وسائله
فجدلت ذا العدوان بالسيف عنوة
فعطف على المكروه نفسًا فإنه
فمثلك لا يعنو لأثقال نكبة
ومثلك في لبنان همته انتضت
نشرت لواء العدل فوق هضابه
قدمت عليه واليا تسعد الوري

يضوع بأذكى ما تضوع خمائله
تُوصي^(٢) الشا طول المدى وتواصله
فإنك لا يعنك في الخطب هائله
حسام غدت أمر الإله حمائله
إذا نصبت للاقتناص حبائله
يصح به فيما يروم وسائله
ولكن هذا الموت ليس يشاكله
قضاء عميم مقصداً مقاتله
على أن حزم الراي إذ ذاك كاهله
فوائق ما كانت تُرجى أوائله
خفوقاً بالألاء غدت لا تزايله
كما دمت جوداً فيه يخضر قاحله

(١) وصى: واصل.

(٢) توصي: توصي به.

وله تهنئة لدولته بزفافه السعيد

أَدِرْ لَنَا رَاحَ تَذَكَارِ الْحُمَى أَدِرْ
وَارْمُقْ سَنَاوَتَهُ وَانْظُرْ سَمَاوَتَهُ
تَرَى قِبَابَ السَّنَا فِي الْأَفْقِ صَاعِدَةً
أَنْعَمَ بِهَا لَيْلَةً لِبْنَانُ تَاهَ بِهَا
جَادَ الزَّمَانُ لِأَهْلِيهِ بِطَلْعَتِهَا
كَأَنَّمَا كَانَ مِنْذُ الْبَدْءِ حَامِلَهَا
قَدْ أَرَّخْتَ عَهْدَهَا فِيهَا الْمَسْرَّةُ مَذْ
يَزِينُ قَبَّتَهَا نُورٌ وَسَاحَتَهَا
حَتَّى كَانَ ضِيَاهَا امْتَدَّ مُتَّصِلًا
مُشَاهِدٌ كَمَلَتْ أَنْوَارُ زِينَتِهَا
يَكَادُ لِبْنَانُ أَنْ يَهْتَزَّ مِنْ طَرْبِ
عَمَّتْ بِذِي الْبَهْجَةِ الْعُلْيَا مَسْرَّتُهُ
تَأَرَّجَتْ مِنْ ثَنَا الْمَوْلَى الْوَزِيرِ لَنَا
هُوَ الْوَزِيرُ الَّذِي مَا شِئْتَ مِنْ وَزَرٍ
أَقْسَمْتَ مَا دَامَ مِنْهُ الْخَيْرُ مَنْصَرَفًا
كُنَّا نَحَازِرُ دَهْرًا قَبْلَ هَمَّتِهِ
يَرْتَدُّ عَنْ مَجْدِهِ الْوَضَّاحُ مِنْكَسِرًا

وصف لنا اليوم مجلى سَفْحِهِ النَّضِيرِ
تَرَى دَرَارِيَّهَا تَزْدَانُ بِالضَّرَرِ
عَلَى أَسَاطِينِ نُورٍ نَاطِرِ الْأُكْرِ
وَبَاتَ يَرْفُلُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْحَبْرِ^(١)
مِنْ بَعْدِ ضَنْ بِهَا فِي سَالَفِ الْعُصْرِ
حَتَّى تَمَخَّضَهَا ذَا الْيَوْمِ عَنْ كِبَرِ
تَقَوَّضَتْ بِهِنَاهَا دَوْلَةُ الْكَدَرِ
نُورٌ فَتُزْهِرُ بَيْنَ الزُّهْرِ^(٢) وَالزَّهَرِ
بِیَوْمِهَا وَكَأَنَّ الْأَرْضَ لَمْ تَدْرِ
مَا بَيْنَ مُنْتَظَمٍ مِنْهَا وَمُنْتَشِرِ
وَأَنْ يَمِيسَ بِمَا يَحْوِيهِ مِنْ مَدَرِ
جَمِيعِ أَهْلِيهِ مِنْ بَادٍ وَمُحْتَضِرِ
أَرْجَاوَهُ بِأَرِيحٍ ضَائِعٍ عَطِيرِ
مِنْهُ عَلَى دَهْرِنَا أَلْفِيَّتٍ مِنْ وَزَرِ
إِلَى الْعِبَادِ فَمَا زِنْدَ الزَّمَانِ وَرِي
فَالْآنَ نَحْنُ وَمَا نَبْقَى عَلَى حَذَرِ
طَرَفٌ عَنِ الشَّمْسِ أَضْحَى غَيْرَ مُنْكَسِرِ

(١) الحبر: الوشي (للثوب) خاصة.

(٢) الزُّهْر (بضم الزاي): النجوم.

بدرٌ ينيرُ على الأقطار قاطبةً
 مهذبٌ تبخع^(١) الجُلَى لحكمته
 موءيدٌ سنّة العدل التي شرفت
 طافت بكعبته الآمال واعتمرت
 إلى مكارمه الآنامُ واردةٌ
 باتت تُحدّث عن معن^(٢) سماحته
 أبدى فأيد أيدي المكرمات بنا
 أين الرزية تجتاح العباد فقد
 له بكلّ مكان كلّ مائثرةٍ
 إذا أفاض على العافي^(٣) مواهبه
 وإن سطا بطعانٍ ملّ من يدهِ
 يا من لتأييد علياه وسلطته
 بك انقضت غصّة الأيام وانكشفت
 لك الأيادي على لبنان تُرسلها
 لكم رَأَيْتَ له صدعًا وكم شعث
 سقيته الغيث من رغدٍ ومن دعةٍ
 فعاد بعدَ ذوي عيشه نضيرًا

بحرٌ سواه جميع الناس كالغُدرِ
 يرى ويمضي مضاء الصارم الذكر^(٤)
 ورافعٌ راية الإرشاد في البشرِ
 وليس إلاّ البنان الرطب من حجرِ
 تثرى ولكنه ورْدٌ بلا صدرِ
 وعدل أحكامه الغراء عن عُمر^(٥)
 جودًا كما كفّ كفّ الرُزءِ والغيرِ
 رمى بها بين سمع الأرض والبصرِ
 غراء معلومة الأحجال والغررِ
 أزرى بغيثٍ من الوطفاء^(٦) منهمرِ
 قرى الوشيج وغرب الصيلم البترِ^(٧)
 تدعو الرعيّة في الأصال والبكرِ
 صُروفها بالزمان الأخضر النَّضيرِ
 سُحبًا على رائحٍ فيه ومُبْتَكِرِ
 لَمَمْتَ فيه وكم قومت من صعرِ
 كذاك يُسقى جديب الأرض بالمطرِ
 وشبّ بعد وضوح الشَّيب في الشَّعرِ

(١) بَخَعَ له: أَقَرَّ.

(٢) الصَّارِمُ الذِّكْرُ: السَّيْفُ.

(٣) معن: هو معن بن زائدة، المشهور بالحلم والسماحة.

(٤) عمر: هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) المعروف بالعدل.

(٥) العافي: كلّ طالب فضل أو رزق.

(٦) سحابة وطفاء: مسترخية لكثرة مائها.

(٧) غَرَبُ الصَّيْلَمِ البَترُ: حَدُّ السَّيْفِ القاطع (البَتر).

ما إن ترى ماس بين الناس غصنُ هَنا
ما لي أُعدّد ما واصيت من نعمٍ
فمثل فضلك بحرًا ليس يحصره
فاهنأ بسعدٍ هداءٍ لا تزال به
تزهو لنا اليوم في تاريخه جُمْلُ

إلا ولبنان أمسى خير مُهتَصِرٍ
على حِمَاكَ وما شَيّدت من أثرٍ
لسانُ مثلي في ذا العَيِّ والحَصَرِ^(١)
مقارنَ العزِّ والنُّعمى مدى العُمُرِ
فقلّ تجلّى قرانُ الشمس والقمرِ

١٨٨٥

(١) العَيِّ والحَصَرُ: آفةُ النطق، وهي خلاف الطلاقة والفصاحة.

وقال يمدح صاحب السعادة الأمير السيد محمد باشا الحسني الجزائري
كبير أنجال المغفور له الأمير عبد القادر

أتقصد بالمدح الأمير محمّدا
وتبغيه وصفاً بالذي هو دونه
ألا إنه لم يُحرز الوصف قدره
ولو كان ميسوراً عليك مديحه
هو البدرُ إلاّ أنه ليس يختفي
هو الليث إلاّ أنه ليس يعتدي
يضيءُ على الأكوان نور كماله
ولكن يغوص الناس في لُجّ جوده
ويحمل في الهيجا فإن صال صولة
ويُنضي إلى أقصى المطالب نفسه
تطاول حتّى ليس مرقى لهمةٍ
تجمع فيه الجدّ والفهم في العلى
وما زال حتّى غادر الضدّ بطشه
أجلُّ بني الأيام قدراً ورفعةً
لئن بلغ الناس السيادة فجأةً
عن المصطفى^(٣) بعد الخليل وهكذا

وما من نجوم الأفق شعرٌ فتنشدا
لعمري لقد أدناك قصداً وأبعدا
ولا بلغت منه القصائد مقصدا
لحدثت نفسي أن أمدّ له يدا
هو البحر إلاّ أنه ليس مُزبدا
هو السيف إلاّ أنه ليس مُغمدا
وتتخذُ الشعرى^(١) لعلياه مرصدا
فيُهدى له دُرُّ الثناء مُنصّدا
تساقطت الأبطال مثنيّ وموحدا
وننظرُ سيف الله فيه مجردا
وبرز حتّى ليس قدامه مدى
فأصبح ذا أسمى وذلك أسعدا
صريعاً وخلقى جفنه المجدُّ أرمدا
وأطيب أجداداً وأكرم محتدا^(٢)
فذا كابرًا عن كابرٍ صار سيّدا
إلى آدمٍ لم ينمه غير أمجدا

(١) الشعرى: كوكبٌ ثير.

(٢) المحتد: الأصل والطبع.

(٣) المصطفى: من أسماء الرسول (ص).

كفى بأبن عبد القادر الشهم فرحة
أبوه الذي قد كان في الغرب قائماً
لذاك ابن محيي الدين قد كان في الوري
فأصبح للإسلام غوثاً وموثلاً
أقرَّ عيون المومنين بباسه
وما زال حتى أثر الله رفعه
فإن يَمْضِ عَنَّا فالأمير محمدٌ
هُمامٌ إذا ما بات يجري لغايةٍ
أغرَّ يحل الصدر من كلِّ متدَّى
فيا بُنَ أمير الشرق والغرب لا تزل
إذا فقدَ الخلقُ المكارمَ والعُلَى
سأهديكَ مع ضعفي إليك قلائدي
ولا غَرَوْ عِنْدِي أن أرقَّ لسيِّدٍ
تمتَّع بأنواع السعادة دائماً
رعاكَ الذي أبداً محمدٌ في الوري

لكلِّ امرئٍ صلَّى وصام ووحَّدا
بتأييد دين الله في حومة الردى
حسامٍ إلَهٍ لا حساماً مهنّدا
عزيزاً وللإيمان رُكنًا مُشَيِّدا
وغادر جفن الكاشحين مُسَهِّدا
وبوّأه من ساحة القدس مقعدا
يعيد علاء البيت مجداً كما بدا
تلقتَه أطواد^(١) الأمانِيّ سَجِّدا
وليس يضاهي صدره رحبٌ مُتَدَي
لآثاره في العالمين مُجَدِّدا
رأوك بها من بدءِ عمرِكَ معهدا
ليتهم شعري في ثناكَ ويُنجدا^(٢)
تحرَّرَ مَنْ في وُدِّه قد تقيِّدا
وعش يا هُماماً ما أردت مُخلِّدا
وعلم عبد القادر الطعن في العدى

(١) الأطواد: الجبال.

(٢) تَهَمَّ وَاَنْجَدَ: مِنْ (تَهَامَة) وَ(نَجَدَ)، وَهُمَا مَوْضِعَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَكُلٌّ مَا ارْتَفَعَ عَنْ (تَهَامَة) فَهُوَ (نَجْد). وَيَضْرِبُ الْعَرَبُ فِيهِمَا مَثَلًا، كَانَ يَقُولُ: شَرَّقَ فَلَانٌ وَغَرَّبَ، مِنْ (شَرْقٍ) وَ(غَرْبٍ).

وقال يهني سعادة الشهم أحمد بك العابد برئاسة دائرة الاستئناف
في دار السعادة باقتراح أحد الذوات

عابد الحق بالذي قد تقلد	فليهنأ مقام عزّة أحمد
م والناس والزمان وتسعد	ولتهنأ به العدالة والأحكا
اء لا زال في الأنام مجرّد	سيف عدل في قبضة الدولة الغرّ
ق إماماً فليس عنهنّ يغمد	قد أقامته في المناصب للحد
هنّ خرّت له الكواكب سجّد	كلّما نال منصباً سامياً من
ل علاء فوق السماكين مقعد	ولعمري ما نال حقاً ولو نا
ج يديه في ثوب فخر وسؤدد	سيّد ترفل المحاكم من نس
مأ وقوى الحقّ المبين وأيد	أيّد أوسع القوانين تقويد
علم الحقّ والمنار وشيّد	حرس العدل في العباد وأعلى
ورى خير ما به الله يُعبد	عابد عادل وللعدل ما بين ال
قادة من كلّ باهر العزّ أصيد	هو نجل الأماجد السادة ال
وسناء غدا من الشمس يُحسد	حسب تخدم الثرياً علاه
طاهر الأصل مذ حوى مثله الدهر سما بالذي حوى وتمجّد	قد تسامى إلى العلى وهو طفل
وتولّى غاياتها وهو أمرّد ^(١)	بمضاء كالسيف إذ يتبدّى
وذكاء كالنار إذ تتوقّد	وجداء على البرايا عميم
عنده جود كلّ بحر مصرّد ^(٢)	

(١) الأمرّد: الشاب طرّ شاربّه (ظهر أوّل ظهوره).

(٢) ماء مُصرّد: قليل، يريد؛ أنّ جود البحر قليل أمام جوده.

ومعالٍ ترفعت عن سواه
عشق الحمد أحمد الأسم والأفعال والمرء رهن ما قد تعوذ
أيها العابد المفضل في الحمد لا
من بأحكامه ونور محيا
وبدت زهرة العدالة تنمو
لا تزال ترتقي المناصب ذا ج
أصبح الشكر عن علائك فرضا
فلكم نعمة أفضت علينا
ليس ننسى أثار عدلك فينا
وبها وجه ذا الزمان تجلّى
أنت أعلى من كل مدح وإن با
فهنيئا بذي الرئاسة إنّا
ونفي واجبا لديك وإلا
عم كل البرية البشر لما
لا تزل صاعد السعود ولا تب
ما تلافى ثناك أرخ رقيق

ومعانٍ في الفضل يخطئها العد
عشق الحمد أحمد الأسم والأفعال والمرء رهن ما قد تعوذ
أيها العابد المفضل في الحمد لا
من بأحكامه ونور محيا
وبدت زهرة العدالة تنمو
لا تزال ترتقي المناصب ذا ج
أصبح الشكر عن علائك فرضا
فلكم نعمة أفضت علينا
ليس ننسى أثار عدلك فينا
وبها وجه ذا الزمان تجلّى
أنت أعلى من كل مدح وإن با
فهنيئا بذي الرئاسة إنّا
ونفي واجبا لديك وإلا
عم كل البرية البشر لما
لا تزل صاعد السعود ولا تب
ما تلافى ثناك أرخ رقيق

(١) خَصَدَ الشُّوكَ: خَرَطَهُ (قَطَعَهُ).

وله ثناء على حضرة السري الأنجب
عزّتلو عبد العزيز أفندي السلطاني

عمرک الله يا عدولي أقلّاً
أنا مالي والهيفُ تشرعُ سُمرّاً
وسیوف الحواجب الزجّ تُنضی
وثنايا الثغور ما لاح منها الـ
كلّما ازدادت الحبيبة دلاً
حالة کلّها هوّی وهو أنّ
لست أستعذب العذاب لديها
لا تراني فيها أطأطئ رأسي
ليت شعري ماذا ترى في هواهم
إنّ هذا الفؤاد أشرف من أن
فتعشّق يا صاح بكرّ المعاني
وقدوداً بين المساعي تثنّى
واصرف الحبّ في وجوه المعالي
وإذا ما طلبت منها اللقا طراً
هو عبد العزيز ذو العزّة القع

ليس حبّي الظباء إلاّ الأقلّاً
ما تثتّ والعینُ ترشق نبلاً^(١)
لتذیب المُحبّ بالسلّ سلاً
برق إلاّ والذمع منه استهلاً
زاد هذا العمید^(٢) في الحبّ ذلاً
دونها مَورد المنيّة أحلى
أنا عنها أغنى وأغلى وأعلى
إنّ تجدّ بالوصال دعدّ وإلاً
للواتي وُصفن جُبناً وبُخلاً
يسألوه بهذه الحال شغلاً
وهنا فاهلکَن إذا شئت قتلاً
وعیوناً بِأثمد^(٣) الليل كحلاً
وأغلّ رَحلاً بقصدِها وأخذُ إبلاً
فیَمّم سلطانها المستقلاً
سا الذي قد زکا جناناً وأصلاً

(١) يريد الضامرات من النساء كأن قدودهنّ (أجسادهنّ) الرماح (رشاقة)؛ والعین؛ مفرداً عیناء؛ الواسعة العين.

(٢) عمّله المرض؛ فدَحّه واشتدّ عليه، ومنها اشتقّ القلب العمید.

(٣) الإثمد؛ حجرٌ يتخذ منه الكحل، وقيل هو الكحل.

المعيُّ قد نال وهو وليدٌ
 بذكاءٍ كأنَّ في الذهن نارا
 ويراعٍ يجري على الطرس تبراً
 هكذا فلتكن بنو الشرف الوصـ
 همّة تطلب النجوم ورأيٌ
 خلقٌ كالرياض طيباً ولطفٌ
 فاعل في الأرواح ما تفعل الرا
 إنَّ هذا الخلاق من ذلك اللط
 جلَّ يا سامي المعاني إلهٌ
 لا نرى فيك ذي النباهة بدعا
 فرع مجدٍ أضحى له الأفق أرضاً
 يا لبيباً قد ذكرتنا معانيه سميـ
 غصبَ الحمدَ بالفضائل حتّى
 هاك عبد العزيز مدحة صدقٍ
 لك مني شهادة الفضل عفواً
 أنت لا شكَّ للمدائح أهلٌ
 فهي تنحو حماك في كلّ معنى
 سبق الشعر حسن فعلك حتّى
 دمت يا باهر النباهة محفوف

ما ينال المشهور بالعقل كهلاً
 ومضاءٍ كأنَّ في العزم نصلاً
 وخطابٍ يؤثي لدى الخطب فصلاً
 ساح إذ يتغنون للأوج وصلاً
 بسناه يجلو دُجى كلِّ جُلّى
 بات من طَلَّها^(١) أَطْلَ^(٢) وأَطْلَى^(٣)
 ح إذا ما أساغها الشرب علأ
 ف لقد جلَّ أن يصادف مثلاً
 جامعٌ فيك للمحاسن شَملاً
 إنّما أنت فرعٌ من فاق نبلاً
 وسناءٍ أمسى له البدر ظلاً
 ما قدماً بِحِلَّةٍ حَلأ
 لم يغادر عليه للمدح فضلاً
 نطقت في سلطانها اليوم عدلاً
 لا لأنّي أعدُّ نفسي خلاً
 حيث أبدعت للمحامد أهلاً
 بات بكرّاً فقارَنَ اللفظُ فحلاً
 لا تجارى فقلت بالله مهلاً
 ما بعين الإله عزَّ وجلَّ

(١) الطلّ: التدى.

(٢) الأطلّ: الأكثر حسناً.

(٣) الأطلّى: الأكثر طلاوة.

وله تاريخاً لورود أحمد وفيق مقبل نجل ذي السعادة

جمال بك ناظر رسومات سورية

والكرب ولّى والعناء قد انجلى
والبؤس أدبرَ والهنا قد أقبلا
أيقنت أن سيصير بدرًا أكملًا
يُمنا وفرعٌ جاء من دوحِ العلا
فهو الحقيق بأن يكون الأجملًا
وغدا الجمال أبوه فيه ممثلاً
واختار محض الاستقامة منها
وغدا الزمان بنوره مُتهلاً
بالخير جاء وفيق أحمد مُقبلاً

الدهر أعتب^(١) والزمان قد انجلى
والكون أشرق والسرور قد ازدهى
بورود نجلٍ مذ أضاء هلاله
قمرٌ تولد في سماءِ سعادةٍ
نجلُ الجمال ومن يكن نجلًا له
قد جاء سرُّ أبيه فيه ظاهرًا
هذا ابن من فاق الأمثال عفةً
عمَّ السرور جميعنا بوروده
لما بدا أنشدت تاريخاً له

١٣٠٤

(١) أعتب: رجع إلى ما لرضائي عنه.

وله تهنئة لحضرة الوجيه النبيه صاحب العزة

حسن أفندي بيهم بزفافه الميمون

إليك التهاني تُستحثُّ وفودُها
وتسلكنها فيها معانيك هينةٌ
أعنت يراعي للقوافي إشارةً
مددت بضبعيه^(١) إليها فنالها
تعاتب عزمي فيك كلَّ خليفةٍ
كأنِّي قرضتُ الشعر قبل زمانه
وكنت إذا ما لَعَمْتُ^(٢) صمتي عن الثنا
فإن كنت للحُسنى عميداً وصاحباً
وإن صيغ عقدُ المدح فيك فطالما
كأنَّكَ من ماءِ الشهامة منهلٌ
لقد شملت منك الجميع بلطفها
وقد فزت حظاً بالمُعَلَّى من العُلَى
حصلت على سُمِّ المعالي فلم يزل
صَبوتَ إليها وهي نحوك قد صَبَّتْ

وفيك القوافي تُستمال شروُدُها
إذا استُصعبت أقبالها ونجودُها
بأنَّك مُبدٍ نعمةً ومُعِيدُها
ولولاك أمسى الدهر وهو طريدُها
عليها سراييل العلى وبرودُها
ليوجب في يومٍ عليَّ نشيدُها
أكلَّف نفسي خُطَّةً ما تُريدُها
فإنِّي مديحاً صَبَّها وعميدُها
تحلَّت بك العلياء وازدانَ جيُدُها
تظلّ العلى حرَّى إليها كُبودُها
شمائل يزري بالشَّمول^(٣) ورودُها
فتقدح ناراً في يديك صُلودُها^(٤)
بأفق العنان البدر وهو حَسودُها
فلا غرو أن تُفتن بحُسنك غِيدُها

(١) الضَّيْع: وسط العَضْد، وقيل الإبط، والضبعين: العَضْدَيْن (مطلقاً).

(٢) عَتَمَ (عن الأمر): كَفَّ عنه بعد المُضَيِّ فيه.

(٣) الشَّمول: الخمر (لأنها تشمل بريحتها الناس)، وقيل هي الباردة.

(٤) الصلود: الزند لا يُوري (لا ينقدح عن نار).

غلبت القوافي كلها وسبقته
 بهمةً مقدام العزيمة لا ترى
 وأخلاق ميمون النقية ما ينبي
 فتى لو أعار الشمس ضوء جبينه
 ولو لأبس الظلماء نورُ جنانهِ
 ولو مزج الله الحياة بلطفه
 هو الحسن الوجه الذي بان حسنه
 له من رقيق الطبع هيفُ خلائقِ
 نشا كلفًا بالمكرمات فلم تزل
 إلى الغاية القصوى منازعُ هممه
 توليه ذاتُ الأروعية نفسه
 يهتك أستار المغالِق حزمه
 إذا اعترضت دهمٌ عوابسُ في الورى
 على ملتقى سبل المعاني تخاله
 أمالت له كلَّ القلوب من الورى
 لقد ألف الأفضال وهو ربيبه
 ولاقت به زهر السعود جدوده
 رعى الله من رعى المودة والولا
 أيا حسنًا لم يبق حسنًا لغيره

وإن يُزر بالدرّ النّضيد نضيدُها
 عياء ولا وقع الصّعب يؤودُها
 يصبُوبُ بها غيث الثنا ويَجودُها
 لما ساغ تحت الدّجن^(١) يومًا ربودُها^(٢)
 لما احتيج من نور الصباح وقودُها
 لما احتملت سُقم الجسوم جلودُها
 لنا بوجوه ليس يُحصى عديدها
 تغار غصون البان منها قدودُها
 له نفحات ليس يُجحد جودُها
 فأقرب هاتيك المغازي بعيدها
 على عَقباتٍ لا يرام كؤودُها^(٣)
 لدى معضلات لا ينادي وليدُها
 فمنه لهم مهدٍها ورشيدُها
 فمبتدرٌ من كلّ صوب يصيدُها
 مكارمُ تترى في القلوب قيودُها
 وهل تألف الأغيال إلا أسودُها
 كما تتلاقى في البروج سعودُها
 بباصرةٍ ما يطبها هجودُها
 برفعة شأنٍ لم يزل يستزيدُها

(١) الدجن: ظلّ الغيم القائم.

(٢) الرُبدة: لون بين السواد والغبرة. وتربّت السماء: تغيّمت.

(٣) العقبة الكوود: الصعبة الاجتياز.

ويا مُخَوِّلاً لا تاركاً طارِفَ العُلَى
عشقنا معانيك الحِسان وإنَّها
تُضاحِكُ ثغر الأُقحوان ثغورها
قلائد شعيرٍ لا كِفَاءَ لحسنها
قوافٍ لها فوق القوافي مواقفٌ
تباهت بك الأقلام أنك ربّها
وأنتك فردٌ بالحِصافة والذكا
ونبّهت منّي عزمةً مستنيمَةً
أفي كلّ يومٍ منك روعة ماجدٍ
فأخذها من الشعر العراقيّ عادةً
على غير عهدٍ بالثناء ولم يكن
وقد أنفَذَتْها نحو مدحك همّةٌ
تنازعها خلق الحيا ورجاؤها
فلا خيّت آمالها منك رقةً
فقد محضتك الواجب الحمد والهنا
أخا الحسن فاهناً بالزفاف الذي زها
ودمٌ بهنا هذا القرآن مُمتّعاً
ولا زلت إلّفاً للسعود محبباً
ودمت حليفاً للسلامة ظاهراً
بلغت كمالاً ليس في البدر مثله
أقرّ لنا المولى بمرآك أعيناً

إذا كان أولاك الغناء تليدُها
وحقّك عينٌ لا يُطاق صدودُها
وتفضحُ والله الشقيق خدودُها
يندُّ لنا بين الفحول نديدُها
لآلٍ بأجباد اللآلي عقودُها
وأنتك مطبوع المعاني مجيدُها
وكلّ العلى بالحق أنت فريدُها
إلى دعةٍ قد طال فيها ركودُها
ولوعة وجدٍ لا يُرجى خمودُها
تناهت إلى ماء السماء جدودُها
حداها إلى ناديك إلّا عهدُها
تجاذبها إقدامها وقعودُها
بأنك إذ تُتلى عليك ودودُها
تضوع عبيراً حين يُعجمُ عُودُها
خلوصاً وأنظار الإله شهودُها
ودامت لك الدنيا وأنت سعيدُها
قرينك من هذي الحياة رغيدُها
تجدُّ إلى مأتى علاك جدودُها
على مَحَنِ الدنيا وأنت مُبيدُها
وهل كلّ عليك البدورُ تجيدُها
تطيب بها ما لا يطيب رُقودُها

إليك رنت من كل صوبٍ وإنَّها
فلا برحت منك المعالي على السُّهى
ولا برحت منك العوادي مريضةً
أخا الحسن فاسلم بهجةً لقلوبنا
بقيت بقاء الدهر فخراً لأهله
ولا زالت بدر الشرق ما نرَّ شارقٌ

لتقطر بردًا إذ تراك جمودها
مقاصير فخرٍ ما تزال تُشيدُها
دويُّ بها استشرى ولا من يعودُها
ففيك لنا محبوبها ومفيدُها
وخُلِّدتَ لو نفسٌ يُرجى خلودُها
وما طلعتُ الإصباح لاحَ عمودُها



وله ثناء على حضرة الذكي جمال بك نجل حضرة نموذج الكمال

والفضل ومعدن النزاهة والعدل صاحب الفضيلة

رامز بك نائب بيروت الحالي

ليس من يملأ العيون جمالاً	غير من يملأ القلوب كمالاً
وأخو العشق ذو الهيام الذي قد	تخذ الليث في هواه الغزالاً
يا جمالاً عشقت منه خصالاً	لست أرجو لغيرهنّ وصالاً
زادك الله رفعةً ويقيني	بكمالٍ إذا رأيت الهلالاً
جُمِعت فيك يا جمالُ معانٍ	يتمنى المديح منها المحالاً
أو ما فيك ذلك العزم ما وُجِّدَ	ه يوماً إلاّ استخفّ الجبالاً
يسبق القول منك فعلٌ إذا ما	سبق القول في الأنام الفعّالاً
يا ابن من قصّر الأمثال طراً	أن يُرونا لذاته أمثالاً
نجل قطب الزمان عدلاً على الإطلاق	لم يُبد نده الدهرُ حالاً
لست أبغي وصفاً لما أنت فيه	أنا ما أن أُطيق هذا المجالاً
لا ولا شكر ما محضت من الو	د صديقاً تراه بأسمك آلى
مكرماتٍ ورقّةٌ وذكاءٌ	ذي المعالي فليعلون من تعالي
وزمانٌ يظلّ ينشدُ عنها	هكذا هكذا وإلاّ فلالاً



وكتب إلى صفيته الأديب الأريب أيوب أفندي عون

مدير مدرسة الكاثوليك في الشهباء *

حَتَّامَ تجذبني القدود وأجَنَحُ
ويهيجني شوق الحسان وأدمعي
لم يبقَ مِنِّي موضعٌ طيَّ الحشَى
كلًّا ولا في مهجتي من نُطفةٍ
غاضت دموعي بعد فيض شؤونها
وبقيت فيما بين لدع صبايةٍ
أحيي الليالي آملًا أن تنجلي
إن كان يوحشي الظلام لدى النوى
ولقد أتوق إلى الكرى فلربَّما
فلئن يكن ذاك الغزالُ محرَّمًا
يا ليلةً بالجزع تجزعني بها
باتت تذكرني ليالي بينها
ما بين هاتيك الظباءِ سوانحًا
باتت تتيه بها العقول إذا بدت
من كلِّ مَيَّاس أغنَّ إذا انبرى
فضح الغزال بجيده عطوا وقد

ويصدني عنها الصُّدود وأجمَحُ
أبدًا على سفح المعاهد تُسْفَحُ
إلاَّ وزندُ الحبِّ فيه يقدَحُ
إلاَّ بنار الحبِّ أضحت تُلْفَحُ
وعهدتُ عين الدمع ليست تُتْرَحُ
يكوي وبرحٍ دائمٍ لا يبرحُ
صبحًا وليس بأمثلٍ ما تُصبحُ
فالهجر في يومي لعيني أوضحُ
طيف الحبيب بزورةٍ قد يَسمحُ
وصلي فحسبي في الكرى ما يَسمحُ
نوحًا وراقى^(١) الأيك ممَّا تصدَحُ
كُنَّا وكان المُنحنى والأبطحُ
تمشي بحبَّات القلوب وتمرحُ
تيهاً كبانات النِّقا تترنَّحُ
فالعقل يُعقل والنواظر تطمحُ
فضَحَ الغزاة^(٢) منه وجهٌ أفصحُ

★ الشهباء: كنية حلب.

(١) راقى، (مفردها ورقاء): حمامة.

(٢) الغزاة: الشمس.

يلهو ويجرح في النهار وإنما
وأعلل النفس الشجية بالدُّجى
يا من يعذبني ويحسب أنني
يسطو عليّ ولا يرقّ فعنده
دلّهنتي في ذا الغرام فما أنا
فإلى مَ تهجرني وقد كاد الصبا
ما كنت أيوبَ الصُّبور وإن يكن
ذاك السميُّ الباهر الشِّيم التي
المشبع العقل الذي أخلاقه
الواسع الفضل الذي لئنائه
الناصح الجيب الذي آثاره
يشنى عليه بالوفاء وإنما
حرٌّ تفتّح للوداد فؤاده
فهو الذي إن ضاق في الخلق الولا
وإذا ترحّز ركبُه عن أرضنا
لا غرو إن شطَّ^(٣) المزار فإنّه
سمّحُ القريحة في رهان قريضه
تلقاه يُرْعِفُ في الطروس يراعَه
ويخوض في لُجج الفنون ويَجتني

قد ظلّ يجرح مُهجتني إذ يجرحُ
فإذا الدُّجى كالصبح ليس تفرّحُ
لعذابه طول الزمان مرشّحُ
قلبٌ ولكن بالحديد مُصفّحُ
قيسٌ ولكن بالفراق مُلوّحُ
يذوي ورطب غصونه يتصوّحُ
بالصبر معنى أسمي بفارس يُشرحُ^(١)
أخلاقه بالأروعيّة تطفحُ
غرُّ الوجوه حسيّة لا تُرجحُ
في كلّ خلقٍ من علاه مفتّحُ
عن حُسن ما يطوى عليه تُصرّحُ
تمديحه بوفائه لا يمدحُ
وكلامه عند النثا^(٢) يتفتّحُ
ففؤاده بالودّ مغنى أفيحُ
فهو الذي في العهد لا يتزحزحُ
قلم اللبيب بكلّ مسك ينفعُ
يجري كما يجري الجواد الأفرحُ^(٤)
كالسّيل في بطن الجّوا يتبطّحُ
دُرّاً بها صدر الزمان موشّحُ

(١) إشارة إلى أن كلمة (شكيب) تعني: الصبور، وهي في الفارسيّة (شكيبدين) والمصدر الأمري في اللغة الفارسية: شكيب.

(٢) نثّ الحديث: أذاعه ونشره.

(٣) شطّ: بُعد.

(٤) الجواد الأفرح: ذو غرة كالدرهم بين عينيه.

تزهو جنان العلم بين سطوره
غررٌ تُترجم عن علوِّ مقامه
يا صاحبًا سمح الزمان يُبعده
لا بدع أن تبعد وأنت عزيزه
أثويت في الشهباء أفسح منزل
من كان مثلك في لطافة طبعه
ما لي أكتّم من فراقك لوعةً
أشكو الزمان فإذا يصمّ لِرنتي
هذه^(١) رسالة صاحبٍ عبث به
إن كان يحسن أن يُزجّي ركبها

إذ كلُّ ما فيها لِعَيْنٍ مسرحُ
ولعلّها من كلِّ مدحٍ أفصحُ
وبيعده وجهُ الزمان مكلّجُ
فالدهر يبعد في الوري ما يمنحُ
لكن محلّك في فؤادي أفسحُ
لا زال ينجع في الأمور وينجحُ
يا ذا وطرفي بالبكاءٍ مُقرّحُ
أوهمت أُنّي عنه حلمًا أصفحُ
شهباء طيشُ جماحها لا يُكبحُ
فيظنُّ أنَّ جوابها لا يقبحُ

(١) هذه: يجوز فيها التسكين لضرورة الشعر، ويمكن أن تكون (هذي) بمعنى.

وقال رثاء لأحد الكرام

هي الأحكام يُصدرها القضاء
ولا ينبو حسام الموت مهما
لقد عمّ الرّدى كلّ البرايا
وأصبحنا رعايا للمنايا
ألسنا الخلق غايتنا زوال
وسفرَ مراحل وذويّ حياةٍ
نُهلُ إلى البكاء متى وُلدنا
ولا نرجو بذى الدنيا بقاء
حياةً كأنسياب الطيف مرّاً
إذا كانت نهايتها خفوتاً
يغرُّ المرء منها ورد عزّ
موارد علّقم تبدو عذاباً
يدير الدهر فينا كلّ كأسٍ
ويُرهنّا من الأرزاء ببطشٍ
يمزّق في البريّة كلّ شملٍ
ويهدم للمعالي كلّ ركنٍ
كذا قضت الليالي في بينها

فليس لمُبرم إلاّ المضاء
أُتيح له على الخلق انتضاء
ومات الناس حتّى الأنبياء
علينا من ولايتها لواء
وعُنصر خَلقنا طينٌ وماء
لها بالويل ختمٌ وابتداء
ويصحبنا إلى الرّمس البكاء
ألاّ إنّ البقاء منّا براء
بدنيا للفناء هي الفناء
فأطولها وأقصرها سواء
يخال به السعادة وهو داء
كذا الدنيا وما فيها رياء
لنا من صرّف خمرتها انتشاء
تَقصّر دونه الأسلُ الظمَاءُ^(١)
فيصبح مثلما نشر الهباء
فيشمّله بأيديه العفَاءُ^(٢)
بأن لا يَسْتَبّ لهم هناء

(١) الأسل الظماء: الرّماح العطشى إلى الدم.

(٢) العفاء: الهلاك والتراب، ويريد بها الفناء (تجوّزاً).

لعمرك في البريّة أيّ أمّ
فوا عجباً لضاهدة^(١) لديها
لقد آلت رعاها الله قُدماً
تفجّعنا بكلّ فقيّد فضلٍ
لقد كانت تتيه به المعالي
رويدك أيّها المنعيّ نعيّاً
ويا مُترحّلاً مهلاً لعمري
وردّ حمامك الآسون لكن
تناديك الفضائل وهي تبكي
وكم جفّت عليك شؤون دمعٍ
ألم تشفع بك العليا فعهدي
وكنت لمعشر زينا وكانت
ألا من مبلغ الإفضال عني
فإنّ يجزع فليس عليه لومٌ
وإنّ يصبر فذاك على فقيّدٍ
أغرّ أبرّ سمح الخلق كانت
عليه مدّت التقوى وشاحاً
إذا أمّ العُفاة ندى يديه
حوى غرر الخلال وكلّ حرّ
فتبكيه المفاخر والمعالي

على أولادها منها اعتداءً
أواصر ما بهنّ لها اعتناءً
يميناً أن تُسرّ بما نساءً
عليه يُلطمّ الوجه العلاءُ
وكان عليه من شرفٍ رداءُ
به تُنعى المكارم والرجاءُ
فذاك الناس لو صبحَ النداءُ
دويّ الموت ليس له دواءُ
ولكن ليس ينفّعها النداءُ
بعينٍ لم تجفّ لها دماءُ
بها أبداً لها معك الإخاءُ
تحفّ بك السناوة والسناء^(٢)
توفي نذبه وله البقاءُ
كذا تبغي الصداقة والولاءُ
بنشر حياته كُفّل الثناءُ
تُصرّفه السماحة ما تشاءُ
وشدّ به مناطقه الصفاءُ
فكم يعرفوا الحيا منه الحياءُ
له بسنيّ شيمته اقتداءُ
وتندبهُ الطلاقة والسخاءُ

(١) صَهْدَةٌ: قَهْرَةٌ.

(٢) السناوة والسّناء: هي من المجد والرّفعة والشرف.

وكان ثناؤه في القوم طراً
فإن يك فارق الدنيا مُجداً
لينعم باللقا أبداً وفيها
فيا أنجاله الأنجاب مهلاً
ولست أزيدكم حباً بصبرٍ
ولا راعَ البلاء لكم قلوباً
ولا يُيكى على من فات دنياً
فيا صوب الحيا باكر ثراه
وزرُ جدثاً بقرب البحر تعثر
هنالك غيب الأقوام شهماً
ويا ذاك الفقيدُ أذهب فحاشا
عليك سلام ربك ما توالى
ومن كان الصّلاح له ابتداءً

يَضُوع ولا كما ضاع الكِبَاءُ^(١)
فأثوته^(٢) مراقيها السماءُ
يكون به احتفالٌ واحتفاءُ
عزاءكم وإن عَزَّ العزاءُ
جميل بُردٍ لابس بهاءُ
ولكن في البلاء لكم بلاءُ
ليُخلد في النعيم له ثواءُ
فمنه طالما سَحَّ العطاءُ
على بحرَين بينهما التقاءُ
وغُيِّبَتِ المُرُوءة والوفاءُ
مقامك أن يقوم به الرثاءُ
صباحٌ منذ يومك أو مساءُ
فبالأجر الجزيل له انتهاءُ

(١) الكِبَاء: عود البخور.

(٢) أثوته: جعلت له مَثْوًى.

وكتب مجيباً صديقه الفاضل أيوب أفندي عون في حلب

ما لذات الوشاح جاءت تبخترُ
تقتل الصَّبَّ بالرُّنوّ فيردى
غادةٌ في خدودها جنّةٌ للـ
تُخجلُ البدرَ طلعةً حين تبدو
جرّدت من قوامها كلّ رمحٍ
كلّما أسلمت لحدّيه روحُ
ما اثنت أو رنت لعمرى إلاّ
دميةٌ بيعةُ النفوس أُحِلّت
تجلّى عن جبهة وضحاها
ذاتٌ وجه إذا تلاها منيرٍ
وصلت بعد هجرةٍ فأقامت
أنستنا حتّى إذا ما ائتلفنا
إنّما الحبّ مثلما قيل قتلُ
ما لنا نعشق الحسان وندري
ويح قلبي يهيم في كلّ وادٍ
تستبيه بكلّ ألّس (٣) أحوى (٤)

والضواحي برُدْنها تتعطرُ
وتلافيه بالدُّنوّ فيُنشَرُ
عين والثغر للمرّاشف كوثرُ
تفضحُ البرق مبسمًا حين تفتّر
وانتضت من لحاظها كلّ أبتَرُ
صاح يا مسلمين الله أكبرُ
حاربتنا بأبيض بعد أسمرُ
ما رآها الحنيف (١) إلاّ تنصّرُ
فلهذا منها سنا الشمس أسفرُ
ذات ثغرٍ عن مثله صلّ وانحرُ
من هوانا كمُقْلّةٍ من محجرُ
فتكت فتكة الرّشيد بجعفر (٢)
وارد الحبّ ما له مشن مصدرُ
أنّ حمر الخدود موتٌ أحمرُ
وهو يسعى ورا الطباء النّفَرُ
أفلج تحت كلّ أدعج (٥) أحو (٦)

(١) الحنيف: المتصنّف بالإسلام.

(٢) هارون الرشيد وجعفر البرمكي، وكان الرشيد قد نكبه سنة (٨٠٣)م.

(٣) اللّس: سواد مُستحسن في الشفة.

(٤) الحوّة: سوادٌ إلى خُضرة أو حُمرة إلى سواد، فصاحبها أحوى.

(٥) دَعَجَت العين: صارت شديدة السواد مع سعتها، فصاحبها أدعج.

(٦) الحَوَر: شدة بياض العين وشدة سوادها، وهي جميعاً من علامات الجمال.

وغزالٍ عشقته ذي لحاظٍ
 تمَّ حُسْنًا كأنه وأيمُ ربِّي
 مائسُ العطف عن معاطف بانٍ
 قد تنبأ حُسْنًا فخطوب بالرو
 مالكٌ للقلوب في دولة الـ
 هو كسرى الملوك لحظًا ولكن
 لا أزال الإله دولته الغر
 إنَّ في ظلِّها رعايا معانٍ
 جالَدَ الثغرُ كلَّ قلبٍ إلى أن
 ورمى الوجدُ كلَّ صدرٍ بنارٍ
 إنَّ سهمَ العيون ينفذ في الصد
 موطنٌ عنده يهي كلُّ عزمٍ
 ينفذ الصبر فيه من جُعبة الصد
 يا عجيب الذكاء يا نادر المثل
 أنت والله من كنوز الليالي
 بك يفتُرُ ثغرُ كلِّ لبیبٍ
 المعیُّ تكاد تُضرم يا ذا
 لك في الفضل أيُّ شأو بعيدٍ
 كيف نحكي علاك يا كامل العُ
 يُطرب الشعر منك أحسن ما يُط

يسكر العقل حيرة حين تسكرُ
 مثلما شاء في الجمال تصوّرُ
 ناعس الطرف عن محاجر جُوذُرٍ^(١)
 ح وأحوى العذار وحيُّ مُسَطَّرُ
 حبّ غدا داعيًا له كلَّ منبرٍ
 فعله بأمرٍ الهوى فعل قيصرٍ
 وإن كان قد طغى وتَجَبَّرُ
 نصرتها في الفتك نصرًا مؤزَّرُ
 فُتِقَتْ ریحُ ذا الجِلاد بعنبرٍ
 وغزا الحبَّ كلَّ نفسٍ بعسكرٍ
 ر ولو ألبس الحديد المعصفرُ
 ويُولي قذالَه^(٢) كلُّ مسعرٍ
 ر لعمرى حاشاك بل أنت اصبرُ
 ل الذي ظلَّ للعجائب مظهرُ
 أبرزتكَ الأقدار كلك جَوهَرُ
 وبأثارك المجالسُ تزهرُ
 مارج النار حينما تتفكرُ
 كم وكم عن مداك ذوالسَّبْقِ قَصْرُ
 مدَّةٍ إذ نحن في مجالك حُسْرُ
 رب صوت الخِلخال في سلقٍ أعفرٍ^(٣)

(١) جُوذُر: ولد البقرة، يشبهون بعينيه لجمالها. (دخيل من الفارسية، وعريته بفتح الذال).

(٢) القَذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس.

(٣) الأعفر: الذي يعلو حمرة بياض.

يا لك الله من أديبٍ إذا ما
 قرَنَ الجهد بالذكاءِ فأمسى
 بينه في الذكا وبين سواه
 جاءني منك يا خليلي كتابٌ
 طالما اشتاقه فوادي حتّى
 ما كفى يا فريدة العقد حتّى
 ما ترى في فتاة خدرٍ سبّثني
 بطرازٍ من الفصاحة أزرى
 أنت يا معدنَ اللاكي الغوالي
 جئت تشني على بياني وفضلي
 قد كفتني منك الشهادة في إذ
 وبعون الإله يا صادق الأف
 قل لمن رام ستر فضلي بغضا
 إنّ لي كلّ طعنةٍ في مجالٍ
 لي من الحزم جنةٌ^(٢) ودِلاصٍ^(٣)
 وبكفي من المضاءِ حسامٌ
 لا ترى من يريد بي السوء إلّا
 منذريٌ يفِي النذور إذا أُنذ

عَدَّ يوماً فغيره ليس يُذكرُ
 كلّ سهمٍ له من الفضل أوفرُ
 فرق ما بين أميلٍ ومكفّرٍ
 لا تسل كم سرى كروبي وكم سرّ
 ضاع منه فتيقُ مسكٍ أدقّرُ
 أصبح اليوم أكتب القوم أشعرُ
 بمعانٍ بها المدارك تَخدرُ
 صنع صنعاء وهو وشيٌ مُحبرُ
 مثل ذا الدرّ منك لا يُستكثرُ
 ذاك تالله أنت أذكى وأمهرُ
 بات من قال بالخلاف وأنكرُ
 عال قد رُدَّ شائتي وهو أبتَرُ^(١)
 لم تكن شمس ضحوةٍ لِتُسْتَرُ
 عَفَرَت عارض العزيز الأصغرُ
 ومن العزم لأمةٌ^(٤) وسنورٌ^(٥)
 وعلى هامتي من العزّ مغفرٌ^(٦)
 واقعا تحت ظفر ليثٍ مُظفرُ
 نذر يوم اللقا أطاق وأنذرُ^(٧)

(١) الأبتَر: المقطوع الخير.

(٢) الجنة: السترة.

(٣) الدلاص: اللين والبراق من الدروع.

(٤) الأمة: الدرع.

(٥) السنور: جملة السلاح.

(٦) المغفر: زرد يلبسه المحارب على رأسه.

(٧) أنذر: أتى بنادرٍ من قولٍ أو فعل.

قيل في أسمى ليثٌ صبورٌ لعمري
لست ممن يقول شيئاً فرياً
ولكم كنت للضعيف معيناً
إن يكونوا بي استجاروا فمني
يا صديقاً نأى على متن شهباً
إن أرم ترك ذكره فهو أشهى
ولعمري من كان بالسعي أجدى
إن شوقي إليك جمٌّ ولكن
أين كتب الأصحاب تطلع ترى
هل نسيت العهود هيهات ما كا
يا رعى الله عيشنا سابقاً وال
تلك أيماناً تقضت سريعاً
كم رشفنا كأس السُرور دهاقاً^(١)
جمع الله لي بكم عن قريب

لا يكون الصبور إلا غصنفر
أنت في كنه حال خلك أبصر
وكما قلت لي مجيراً المعشر
يستظلون تحت لبدة قسور^(٢)
ء سبوح من الجياد الضمر
أو أرم ذكر فضله فهو أشهر
فهو بالذكر والمدائح أجدر
جم عتبي عليك أوفى وأغزر
مثلما يحسى السلاف المكرر
نت عهود ما بيننا العمر تُخفر
دهر ولّى بذيله يتعثر
كخيال المنام ليلاً إذا مر
وهصرنا غصن الصبابة أخضر
خير شمل بجاه طه^(٣) الأزهر^(٤)

(١) القسور: الأسد.

(٢) دهق الكأس: ملاءها، والكأس الدهاق: الطافحة.

(٣) طه: من أسماء الرسول (ص).

(٤) الأزهر: المشرق المنير.

واقترح عليه الرثاء الآتي لأحد أعيان لبنان

أعلمتَ مَنْ فُجعتَ به تلك العُلى
حتَّى اكتسبت ثوب السواد لفقدِهِ
وعرفت من لبنان أيّ شيوخه
يهتزُّ هذا اليوم عن قذَفاته
مَنْ كان أسبق قومه فضلاً ومَنْ
مَنْ كان أفقَه عَصِرِه وأسدَّ من
مَنْ كان نُبل القصد في أعماله
مَنْ كان أمضى همّة من صارمٍ
مَنْ كان من عزَماته في جِحفلٍ
مَنْ كان من حزم النُّهى في حزمةٍ
سبق الرجال إلى المآثر فاعتلى
وقضى زمانًا بالسَّداد ورأيه
وقضى حقوقَ المجد إذ لم يعتزل
حتَّى قضى والموت فينا سُنّة
جار القضاء على القضاء بموته
فهو الذي أحى رسوم الشرع في
وهو الذي فيما مضى غرس المنى

وسألت أيّ رجالها صرَع البِلا
وتناوحت بالندب نوحًا تُكَلّا
غال الردى حتّى أميل وزُلزلا
إذ قد مضى من كان منه مُثَقلا
قد كان صدر ذوي المآثر مُحفلا
عركوا مشاكله وأفتح معضلا
شرعًا وكان الفضل فيه مَنهلا
في كفٍّ مُحْتَطٍ وأفتك مقتلا
أمسى يُقَلُّ من الحديد الجِحفلا
تزري مطاعنها الرماح الذُبلا
شرفًا وبرز مَجْدُه فتأثلا
في الفِقه لا يرتدُّ إلّا فيصلا
إلّا وقد بلغ السُّمّاك الأعزلا
وسيوف مدرجه رواتعُ في الطَّلّا^(١)
لو لم يكن بين الخلائق مُنزلا
لبنان تنسف سَوَحه^(٢) أيدي البلى
فجنّاه أهلُ زمانه مستقبلا

(١) رواتع في الطلا: ثابتات في الأعناق.

(٢) السوح: الدار والساحة.

عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ الْبِلَادَ كَأَنَّمَا
 رَنَّ الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ وَبِفَضْلِهِ
 هُوَ رَاجِحُ الْعَقْلِ الَّذِي مِنْ عَقْلِهِ
 رَبُّ الْبَيَانِ الْبَيِّنِ اللَّسَنِ الَّذِي
 رَحِبُ الذَّرَاعِ إِذَا الْجِدَالُ تَدَافَعَتْ
 مَا كَانَ يَقْصُرُ فِي السَّمَاحِ تَفَضُّلاً
 يَا قَاضِيَا بَاتِ الْمَنَاصِبِ بَعْدَهُ
 مَنْ عَاشَ دَهْرًا لَا يُشَقُّ غِبَارُهُ
 وَلَيْتَ عَنْ دَارِ الْفَنَاءِ إِلَى الْبَقَا
 وَالنَّاسُ رُكْبٌ سَائِرُونَ بِمَهْيَعٍ^(١)
 يَسْعُونَ لِلْآخِرَى وَتِلْكَ حَقِيقَةٌ
 وَالْمَرْءُ رَهْنٌ كُورِثٍ مَا تَنْقُضِي
 وَالنَّفْسُ تَمَلَأُ جِسْمَهُ فَإِذَا مَضَتْ
 لَا تَخْدَعُ الدُّنْيَا اللَّيِّبَ فَكَلَّنَا
 فَازْهَبْ عَلَيْكَ مِنَ الْإِلَهِ تَحِيَّةٌ
 تُحْدَى السَّحَابُ فِي السَّمَاءِ حَتَّى إِذَا

قَدْ كَانَ مِنْهَا بِالْفَلَاحِ مُوَكَّلًا
 حَفَلَتْ مَغَانِي الْعِلْمِ وَامْتَلَأَ الْمَلَا
 وَثَبَاتِهِ بَنَتْ الْحَصَافَةُ مَعْقِلًا
 قَدْ كَانَ أَذْلَقُ مِنْ سِنَانٍ مِقْوَلًا
 أَفْوَاجُهُ تَرَكَ الْخَصِيمَ مُجَدَّلًا
 يَمْتَحُ^(٢) مِنْهُ وَلَا يَرُدُّ مُؤَمَّلًا
 تَبْكِي وَجِيذُ الْمَكْرَمَاتِ مُعْطَلًا
 فَضْلًا وَكَانَ بِنَارِهِ لَا يُصْطَلَى
 فَوَلَّيْتُ فِي الدَّارَيْنِ وَضَّاحَ الْوَلَا
 لِلْمَوْتِ يَتَّبِعُ الْآخِرُ الْأَوَّلَا
 مَذْكَوْنَتْ هَذِهِ مَجَازًا مُرْسَلًا
 تُلْقِي عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ كَلْكَلًا^(٣)
 وَجَدْتُ مَضِيقَ لَهَاتِهِ مُتْسَهِّلًا
 بَتْنَا عَلَى حَكْمِ الْمَنِيَّةِ نُزْلًا
 تَجْنِي بِهَا ثَمَرَ النِّعَمِ مُعَلَّلًا
 بَلَغْتَ ثَرَى مَثْوَاكَ سَحَّتْ هُطَّلًا

(١) مَتَّحَ: اسْتَقَى.

(٢) الْمَهْيَعُ: الطَّرِيقُ.

(٣) الْكَلْكَلُ: صَدْرُ الْبَعِيرِ، مِثْلُ ضَرْبَتِهِ الْعَرَبُ لِلثَّقَلِ الْعَظِيمِ.

وقال يرثي حضرة العلامة الفاضل الشيخ

الإمام محيي الدين أفندي اليافي الشهير تغمده الله برضوانه

أما أنه للدين صارت مصائرُهُ
بخطبٍ وكانت لا تُعدُّ كبائرُهُ
بأن لا فتى إلا غدا وهو داهرُهُ
بواتره والله إلا بواتره
تناديك لا منجاة ممّا تُحاذره
قساورُهُ من حوله وأساوره
وقيصرَ أردى ما وقته مقاصره
ببأسٍ ويلقي كلّ قرنٍ يساورُهُ
إذا الواحد القهارُ وافت أوامره
ولا حيّ إلا وهو بالموت قاهرُهُ
يقربُهُ من قدسه ويُجاوره
تعاذيه لكن في الجنان بشائره
على فقدّه والفقه تدمى محاجره
عواذله في الحزن إلا عواذره
مشارقه والكون أظلمَ ناظرُهُ
وللشرع طرفٌ ليس يقلع ماطرُهُ
بذا اليوم فالإسلام تبكي منابره

أحقًا علينا الدهرُ دارت دوائره
فشدَّ على الإسلام ذا اليوم ريبُهُ
إلا أنه الدهر المصرّحُ بأسمه
بواتره فينا مُجرّدةٌ وما
لها كلّ يومٍ في البرية فتكةٌ
فكم ملك ضخم تخطّفه الردى
تخرّم كسرى كاسرًا حدّ بطشه
وما زال يُفني كلّ عزٍّ يؤمُّهُ
هو الموت من ذا دافع مبرمّ القضا
فسبحان من تعنو الوجوه لوجهه
دعا اليوم محيي الدين نحو جنبه
سرى نعيّه في كلّ حيٍّ ففي الورى
وباتت شؤون الدين تجري شؤونها^(١)
وكلّ امرئٍ يبكي عليه دما فما
لعمرك ما للشرق ذا اليوم أقتمتُ
وللدين وجدٌ ليس تُطفأ ناره
أصاب بني الإسلام خطبٌ عرمرمٌ

(١) شؤون: أمور، وشؤون (الثانية): دموع.

لقد كان فيه الشيخ ركنًا مشيدًا
 فطبَّق آفاق البرية ذكره
 هو الجُهْدُ المفضال والقُدوة الذي
 إمامٌ بأفواه الجميع علومه
 جزيل الأيادي ساعدُ الفضل عَضْدُه
 مبارك خلق طيب الذكر عابدٌ
 بقيّة ذاك الصالح السلف الذي
 قد ارتفعت أسرارُه وتطهّرت
 وأصبح في أيامه علَم الهدى
 تداعت بيوت العلم يوم وفاته
 وراح عليه الفقه يلطمُ وجهه
 ولم أدر أن الصبر تفنى دروعه
 فقد فرغت من كلِّ باكٍ دموعه
 ترَحَّلَ عن دار الفناء إلى التي
 فقد دُكَّ طَوْدٌ باذخُ المجد شامخُ
 وأُغْمِدَ سيفُ صارمٍ الحدَّ باترُ
 سلامٌ على قبرٍ تضمّن ثُربَه
 سقت تربه الوطفا ولا برح الحيا
 وما الموت إلّا مسلك عمّ نهجه
 وما المرء إلّا ميّت وابن ميّتٍ

وكانت طلاع الخافقين مآثره
 وسار به بادي الزمان وحاضره
 ذكت كسجاياه وطابت عناصره
 وبحرٌ بأعناق الجميع جواهره
 جليل المبادي مُسعدُ العلم ناصره
 مهذبٌ طبع مُشرق الوجه سافره
 بأمثاله الأقطاب جلّت ذخائره
 له سيرٌ غرٌّ حكّتها سرائره
 تعم البرايا بالضياء منائره
 وخرّ عمادُ الفضل وانهدّ عامره
 إذ انتكّست^(١) ممّا دهاه مرائرُه^(٢)
 إلى أن قضى والعزم تُفرى مغافره
 كما نزفت من كلِّ راثٍ محابره
 بها عيشه في الخلد تجرى كوائره
 وغِيضَ بحرٍ زاعبُ الفيض زاخره
 وغِيّبَ بدرٌ ثاقبُ النور باهره
 فذلك لحدّ ساطع العرف عاطره
 يُراوحُه في رَجعه ويُبَاكُرُه
 وجسرٌ جميع الخلق لا بدّ عابره
 ومن بدءه الميلادُ فالموتُ آخِرُه

(١) انتكست: انتقضت.

(٢) المرائر، مفردا المريرة: العزيمة.

وكتب إلى أحد الأدباء

ما بين غزلان العقيق وبانه
الموت بين العاشقين موزعٌ
والقدّ يطعن مثله لكن يرى
حربٌ تضرّم بالحضيض سعيها
عبثت بعشاق العقيق وأوغلت
لم يرهبوا بأساً لقاء أسوده
لم يُنجِهم تكسير مُرّان العدى
يا زائراً تلك الربوع وسائراً
إن تنزّلن سَفَحَ العقيق فأشرفن
وتأمّلن صنع الهوى بفريقه
وانظر أيا مُستسهلاً طرق الهوى
لأعزة عصت الهوى بحروبها
لتسيل أجفان الظبي رعباً وكم
لم تختش القُصْب الصوارم في الوغى
سُبْحان من خلق الفواد وطامه
وأعزّ سلطان الهوى حتّى غدت
رقاً كما رقّ القريض لمن غدا
الشاعر المتفنّن النَّدْبُ الذي

حربٌ بها بطلُ الهوى كجَبانه
مما جرى للعطف مع أقرانه
مطعوناه مُلقى بغير سِنانه
وعجاجها بالجزع فوق رِغانه
فدماؤهم تُربي على غدرانه
فأبادهم حتفاً لقا غزلانه
من فتكٍ قدّ الحبّ في مُرّانه
بعراصها الفيحاء في ركبانه
وأسفح عقيق الدمع مع عقيانه
فإذا رضيت فبعد ذلك عانه
لمصارع العشاق في ميدانه
وتُخرّمت بين الهوى وهوانه
ظبي تسيل على ظبي أجفانه
وسطاً عليها البان في قضبانه
أبدًا على حُبّ الحمى وحسانه
أسمى ملوك الأرض من عبدانه
بالألمعية مالكا لعينانه
يروي حديثَ النظم عن حسّانه

أبدى فأبدع في البيان وإنه
هو ناصر الأدب المهذب خلقه
هو واحد العلم الذي في قومه
إن يُنتدب للفضل كان العين في
تخذ الدراسة شغله ونعيمه
هذا أبو الفضل الذي لا بد أن
وافى وما أنصاح النهار بليله
يلهو بأنواع الفنون ويحتسي
وله الرقائق في الكلام يُجيدها
قد أبرزته قريحة سيالة
يا سامعاً عنه البدائع مُعجباً
إن سرت في الوطن العزيز فاشملن
في معلم كالروض في حسناته
فانزل على سعة برحب فنائه

سحر النهى ببديعه وبيانه
من لا يُشَقَّ غباره برهانه
قد بات أفضل راضع للبانة
أعيانه والأصل في أعوانه
فغدت نتائجها جنان جنانه^(١)
يُمسي ببقعتنا بديع زمانه^(٢)
زمنًا فحلَّ الصدر من إيوانه
من عصر من سلفوا سُلَافَةً حانه
نظمًا يُسلي المرء عن أشجانه
تزري بصوب المزن في تهتانه
مهلاً فليس سماعه كعيانه
وانزل بذاك السّفح من بُنانه
تجنّى ثمار الخير من أفنانه
وانظر مآثر من عجبت لشانه

(١) الجنان، مفردا الجنة، والجنان - بفتح الجيم: القلب.

(٢) يريد بديع الزمان الهمذاني، (٦٩٨ - ١٠٠٧م). من أئمة الكتاب، ورائد فنّ "المقامة".

وقال يرثي الطيب الذكر الصديق العزيز سليم أفندي البستاني

صاحب الجنة بل الجنان

الدهر أفتك فارس بطرادِه
يخنى فإن قصد الفتى لم ينتفع
ما إن يُصوّب نحوه سهم البلا
لا ينفعن قول النصوح لخلّه
الدهر في مرصاده طول المدى
يُوري زناد الحادثات وإنّما
يرمى الورى بنبال بؤساء ولا
أبدًا يُناصبهم وهم أبناؤه
يسطو على المرء المنى بعد العنا
يرث الفناء وقد يرى من لم يرث
لا يشفعن بالمرء غرض شبابهِ
البين يخترم الجميع وليتما
بين كفى الدنيا نُعاب غرابهِ
يُردي الحبيب وخلّه متقلبٌ
متعرّضًا بالنائبات الغُبر في

أبدًا وأكثر فتكهِ بجيادهِ
بمضاء صارمه وطول نجاهِ
إلا وكان السهم في إقصادهِ
احذر فإنّ الدهر في مرصادهِ
يُردي وكلّ الوقت فصلُ حصادهِ
وقف عليه بها اقتداح زِنادهِ
غرّو فهذا عهد من عادهِ^(١)
فهو الذي أخنى على أولادهِ
قسرًا فماذا النفع من إيجادهِ
شيئًا سوى ذا الموت عن أجدادهِ
عند الحمام ولا ذكاء فؤادهِ
قد كان كلُّ البين بين سعادهِ^(٢)
وبه كفى متشائمًا بسوادهِ
في مضجع أهناه شوك قتادهِ^(٣)
إصداره أبدًا وفي إيرادهِ

(١) عاد: قومٌ من قدماء العرب، بادوا قبل عصر الرسول (ص)، مثل ثمود.

(٢) إشارة إلى مطلع القصيدة الشهير "بانت سعاد"

(٣) القتاد: شجرٌ صلب له شوك كالإبر.

يا أَيُّهَا الْبَيْنُ الْمُفَرَّقُ بَيْنَنَا
 الدهر أنزق شيمةً من أن يُرى
 ما زال يُفجعنا بهم حتى غدا
 فلبئس عيشٌ بات مُخترماً به
 ولبئس أفضالٌ ومجدٌ بعده
 من هزّ هذا القطرَ فاجعُ فقدِه
 وسطاً على الصبر التفجع بالغاً
 وتوقيت آمالنا من بعده
 الأروعُ الشهمُ الذي بعلمومه
 الطائرُ الصَّيتُ الرفيع مقامه
 الطيبُ الذكرُ الشهير بلطفه
 من كان ربَّ المكرمات وآيةً
 من كان باباً للرجاء مبلغاً
 من كان مالك كلِّ لطفٍ باهرٍ
 وقف الحياة لخدمة العلم الذي
 ومضى شهيد الاجتهاد وجهده
 فقضى بُعيد أبيه في أجل أبي
 أسفاً عليه وكان ركنًا للعلی
 أيام باهر مجده يَذَرُ^(٣) السَّهْيَ
 أيام لا تلقاه إلاَّ جاهداً

(١) الجداء: العطاء.

(٢) الشاده: المدهش، وقيل: الشاغل.

(٣) يَذَرُ: يَدَعُ.

إذ فيه معنى الدهر في استبداده
 بالحزم ذا بَقْيٍ على أفرادِه
 شرف الفتى بين الورى بمَعاده
 مثل السليم رزيئة لبلاده
 ولَبِئْسَتِ الأَيَّامُ بعد بَعاده
 حَتَّى تَفْطُرَ فِيهِ قَلْبُ جَمَادِه
 سيل الأسي الطامي ذرى أطوده
 ما الدهر يُحييها إلى آباده
 وجَدائِه^(١) كالبحر في إزباده
 والباهر الحسنات في إسعاده
 وسنائه ومَضائِه وسَداده
 بوفاء شيمته وصدق وداده
 في الخطب من يرجوه شأو مُرادِه
 وملاك كلِّ سَناء وظرفٍ شادِه^(٢)
 قد كان حقاً باسطاً لمهادِه
 في العلم لم يقدر على إجهاده
 إلاَّ اتَّصال حِداده بِحِداده
 وقوامها بطريفه وتِلاده
 وكواكب الأفلاك من حَساده
 ومجاهداً في العلم حقَّ جهاده

أيام أمضى من حسامٍ باترٍ
أيام إن صعد المنابرَ خاطبًا
يا راحلاً عنا رويدك إنما
مهلاً لتُبصرَ حالَ من غادرتهم
من كلٍّ من تَخَذِ السُّهادَ سميره
من كلٍّ من نظم المراسي جاعلاً
لو كنت تُفدى من بني دهرٍ فدا
غادرت ذكرك في الورى لا نافذاً
فأذهب إلى مولاك يا من قد قضى

تنضى رزايا الدهر في إغماده
تهتزّ من عجبٍ ذرى أعواده
من سار لم يندم على أرواده^(١)
وترى قضاء الله بين عبادِهِ
وأقام نواحاً على تعدادِهِ
من ذوب عينيه سوادٍ مداده
كـ الألفُ بعد الألفِ من آحاده
بل تنتهي الأيام قبل نفاده
والشكر للرحمن أكثر زاده

(١) أروود (في السَّير): ممهل.

وقال مجاوباً أحد الأدباء

أخفُّ ما نال منِّي الطَّرْفُ ما أرقا
ونَزَرُ ما كادني ذا الدهر جَوْر نوى
طمعت بالوصل مشتاقاً فما طلني
ما إن دنت من فوادي مُنية قصدت
كأنما حلف الدهر الخوؤُن بأن
ورابني صرفه فيما يُعنّتي
لله أيُّ نسيمٍ ليس يُذكرني
يميل قلبي وقد لجّت نوازعه
يا غائباً مُخلصاً لي في مودّته
فَدَرَ دَرُكٌ من خلٍّ سما خُلُقاً
تفدي القلائدُ آثاراً له سبقت
لا غرو إن أراها من قبل صاحبها
لله من صاحبٍ صُغرى محامده
مهذبٌ إن بدا منه الشناء ففي
أهدى إليّ قريضاً من طرائفه
كالبدر متسقاً والدرّ منتسقاً
شعرٌ لكلّ اختراع جاء مفتوحاً

وخير ما سرَّ منِّي القلب ما خفقا
أصابني بسهامٍ تخرق الدَّرَقا^(١)
وجدَّ ركبُ التناي بي فما رفقا
إلاَّ وسدَّ لها من دوني الطُّرقا
يحول بين فوادي والذي علّقا
أن كيف خلّفَ لي من بعد ذا رمقا
وأيُّ ساجعةٍ لم تجدني قلّقا
ما ميّلتُ نسماتُ الفجرِ غُصنَ نقا
ولست أعرف منه غيرَ ما نطقا
لأنتَ أفضلَ من في ودّه صدقا
إليّ والفضل لا يخفى لمن سبّقا
إنّي أرى الصُّبحَ لكن قبله الشَّفقا
مودّةٌ محضت لا تعرف الملقا
شريف أخلاقه رَوْض الشا عبقا
يوماً فقلّد منّي الصّدْر والعُنقا
والصبح منبثقاً والغيث مُندَفقا
من بعد ما كان هذا الباب مُنغلقا

(١) الدرق: نوعٌ من الدروع.

سحرٌ لقد لعبت بالقوم فِتنتهُ
جازيك من شاعرٍ أن تستجدهُ إلى
إذا أنبرى في مضامير البيان غدت
يرق^(١) في النظم حتّى يِسترق^(٢) به
لبّيك يا خاطبا منّي الوداد ترى
قد طالما سمعت أذني وما نظرت
فإن عرفت فإنّي ناظرٌ ثمرًا
يا قاتلَ الله حظي والفراق هُما
فهل أرجي من الدنيا الصلاح ولم
لكن على المرء عرك الدهر طاقتهُ
حبّ السلامة يشني عزمَ صاحبه

بلا طلاسَم تُخفي سرّه ورُقَى
نظم مضى فيه مثل السهم إذ مرّقا
جِيادُهُ في المعاني تركض الرّهقى^(١)
ويُسترقّ إذا ما جاء مُسترقّا^(٢)
منّي فتى دهره للودّ ما مذقا^(٣)
بواصري فليفاخر مسمعي الحدقا
لكنّني لم أرى عُودًا ولا ورّقا
على مُناصّبتني دهرًا قد اتّفقا
تزل وفيها غراب البيّن قد نَعقا
ولو تحمّل ذو الهِمّات كلّ شقا
فإن جنّحت إليه فاتخذ نفقا

(١) الرهقى: نوع من عدو الخيل السريع، يُرهق الذي يطلبه.

(٢) رِق: خلاف خَشِن.

(٣) استرق: استعبد (من الرّق).

(٤) المسترق: الضعيف الناقص.

(٥) مَنَقّ (الود): لم يُخلص فيه.

وهذا جُلُّ ما نظمته وهو طالب في مدرسة الحكمة الزاهرة
تهاني بالأعياد لسيادة مؤسسها الحَبير الفاضل المطران يوسف الدبس

قال وهي من أوائل نظمته

أبدرُ بدا أم سنًا باهرُ	وعطرُ سرى أم ثنا عاطرُ
أم انبلجت غرة العيد حتّى	تزاهى بها وجهه السافرُ
وفتّق فيه نوافح مدحٍ	أريج العطايا به ذافرُ
فانعم به عيد يُمنّ جلا	همومَ الورى بِشُرّه الظاهرُ
وأنساهمُ اليومُ نعماء ما	يَعنته أمسه الدابرُ
فلا الخلق في دهرهم ضاجرون	ولا الدهر في خلقه جائرُ
فهل غفل الدهر في العيد أم	تغافل عن أنّه داهرُ
مأثرُ طابت بهنّ النفوسُ	جميعًا وقرّ بها الناظرُ
تبدّد جيش الهموم بها	لدى كسرةٍ ما لها جابرُ
أغار عليه سرور الورى	وسعدُ السُعود له ناصرُ
وليس سوى هزّةٍ عاملُ	وليس سوى بهجةٍ باترُ
وليس سوى نعمةٍ سابحُ	وليس سوى منّةٍ ضامرُ
فأين النّكال الأكل الذي	توعّدنا الزمنُ الفاجرُ
إذا كان ياتي على سالفٍ	بلاه ويسطو له غابرُ
فقد صار يأتي عليه الذي	جنّاه ويعنو له حاضرُ
وفي الأمس قد دوّخ الصاغرِين	وفي اليوم دوّخه الصاغرُ

ألا والمعالي وَيَبِضُّ العوالي^(١)
 فلسنا ولسنا بمن يَحْذَرُونَ
 وأنا وأنا لَقَوْمٌ إذا
 تباهى الملا كلَّ يوم بما
 عوارفُ بحرٍ لها نائل
 فضائلُ برٍّ لها مَادِحٌ
 تظلُّ البرايا تُنَوِّلُ من
 منائحِهِ غبطةُ الْمُعْتَفِي
 فليس لأفضاله جاحدٌ
 ولا يشتكيهِ لَعْمَرُ الفتى
 سوى المال وهو له واهبٌ
 مديدُ النُّهى قوله كاملٌ
 حقيقٌ بتمديح كلِّ الورى
 فكم بتُ أنْضِي له خاطري
 وما زلتُ عن وصفه عاجزاً
 ألا دمت في الخير مجتهداً
 سعيد الجدود جديد السُّعود

لئن ناصب الحادثُ القاهرُ
 إذ الذُّمر^(٢) من حادثٍ حاذِرُ
 فخرنا فما في الورى فاخرُ
 حباه بنا السيّد الطاهرُ
 معارفُ عِضٍّ^(٣) لها آثرُ
 فواضلُ حرٍّ لها شاكرُ
 نداه الذي ما له آخرُ
 مدائحِهِ المثلُّ السائرُ
 وليس بنعمائه كافرُ
 بكلِّ الذي أبدع الفاطرُ
 سوى اللؤم وهو له دائرُ
 طويل اللُّهى طوله وافرُ
 على أنَّ كلَّ ثنا قاصرُ
 فما ظلُّ أنْ خانني الخاطرُ
 على أنْني المِدرَه^(٤) الشاعرُ
 يُنارُ بك الوطنَ العامرُ
 يغار لك الفرقد الزاهرُ

(١) العوالي: الرماح.

(٢) الذُّمر: الشجاع.

(٣) العِضُّ: الشديد القوي إذا ما قام على شيء.

(٤) المِدرَه (لغة): السيّد وزعيم القوم المتكلم عنهم.

وقال

ضمنت على عجزى النجاة من الكربِ
ولم أخشَ عتباً في قصوري وإني
تكلفني نظم الدراري موافقي
على أن ما بين الوفاء وطاقتي
ألا في سبيل العذر إن كلَّ خاطري
ومن بلغ الجهد المؤرَّق ليله
ومن كان في أوصاف يوسف همُّه
إذا أمطرته الدهرَ وبلاً فلم يكن
يرى إن أجابته لذاك تخلفت
وإن نال عند النظم منها لشطره
أفي مثله تبغي من المدح غايةً
حليف المعالي منه من حبه لها
تضيّق بناديه الملا وكلاهما
له في رقاب القوم أطواق نعمةٍ
وفي دامسات الخطب أنوار فكرةٍ
وفي فاجئ الخطب الملمّ رصانةٌ
لقد فخرت بيض المهارق أنه

إذا لاح بدر العُذر في ظلمة الذنبِ
أرى العتب فيه أن أواخذ بالعتبِ
وليت وفائي أن يلبّ لها لبّي^(١)
لأضعاف ما بين الأحصّة والشهبِ
وكم لنوال العذر من مسلكٍ صعبِ
فقد بلغت أَعذاره سهولة الدربِ
فلا زال يستسقي القرائح كالسحبِ
ليخرجها من عهدة القحط والجذبِ
ويحجو بها إيجابه دائم السلبِ
عروضاً رآها ليس تسمح بالضربِ^(٢)
مناط الثرايا عندها أقرب القربِ
ومن حبّها منها له شغف الصّبِ
خفيّ إذا ما ضمّ في صدره الرحبِ
تقلّد منها العصرُ باللولؤ الرطبِ
سرت عن دجى أغلاقه ضافي الحُجبِ
إذا مُثلت للروع ذاب من الرعبِ
لقد أرسل الأقلام فيهنّ كالقُضبِ

(١) كَبَّ لها اللَّبُّ: لازمها العقل.

(٢) الضَّرْب (في علم العروض): آخر بيت الشعر، كقوله: "ذهبوا" من قوله:

"وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همّ ذهبت أخلاقهم [ذهبوا].

كَأَنِّي بِالْدُنْيَا تَقُولُ لِدَهْرَهَا
أَذَاقَكَ مَرَّ الصَّابِ مِنْ كَأْسِ حَزْمِهِ
وَأَصْبَحَ يَحْمِي الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
تَلَا فِي رِزْيَاتِ الْوَرَى فَأَبَادَهَا
وَمَا زَالَ يُولِيهِمْ أَيَادِي جَمَّةٍ
فِيَا مَنْ بَدَا فِي جُبَّةِ الْمَجْدِ رَافِلًا
بِمِثْلِ نَدَاكَ الْجَمُّ تُورِقُ صَخْرَةٌ
قَصِمَتْ لَنَا ظَهَرَ الزَّمَانِ وَإِنْ يَكُنْ
فِرَاقَتْ لَنَا الْأَيَّامُ وَأَفْتَرَّ ثَغْرَهَا
وَأَسْفَرَ بَدْرَ الْعِيدِ فِي أَفْقِ الْهَنَاءِ
وَمَاسَتْ غُصُونُ الْمَكْرَمَاتِ وَغَرَّدَتْ
فَلَا تَبْرَحَنَّ يَا ذَا الْهُمَامِ مَمْتَعًا
إِذَا كَانَ لَا تُرْضِي سِوَاكَ تَهَانِي

أَلَا مِثْلَ هَذَا فَلْتَكُنْ عَالِي الْكَعْبِ
وَفَلَّ شَبَابُكَ فَلَاحًا بِبَلَا حَرْبِ
وَأَمْسَى عَلَى تَعْزِيزِهِ حَافِظُ الْهَدْبِ
أَزَالَ صَدُوعَ الشَّعْبِ بِالشَّعْبِ وَالرَّأْبِ^(١)
وَيَصْنَعُ مَعَهُمْ صِنْعَةَ الطَّبِّ لِلْحُبِّ^(٢)
تَذَكَّرْنَا لَفْظًا يَبُوءُ فِي الْجَبِّ^(٣)
وَتَنْقَلِبُ الصَّرْمَاءُ^(٤) كَالرُّومِ فِي الْخَصْبِ
تَأْتِبُ مِنْ أَرْزَانِهِ الدُّهُمُ بِالْإِثْبِ
وَطَابَ لَنَا وَرْدُ الْأُمَانِيِّ لِلشَّرْبِ
وَضَاعَ عَيْرُ السَّعْدِ فِي رَوْضَةِ الْكَسْبِ
عَلَيْهِنَّ أَطْيَارُ الْمُحَامِدِ فِي سَرْبِ
بَعِيشٍ هُنَا أَصْفَى مِنَ الْمَوْرِدِ الْعَذْبِ
فَمَنْكَ لَدَى التَّقْصِيرِ بَعْضُ الرُّضَى حَسْبِي

(١) الرَّأْبُ: إِصْلَاحُ الصَّدْعِ.

(٢) قِصَّةُ يَوْسُفَ الصَّدِيقِ، وَقَدْ رَمَوْهُ فِي الْجَبِّ: أَيِ الْبُئْرِ.

(٣) الصَّرْمَاءُ: الْفَلَاةُ مِنَ الْأَرْضِ لَا مَاءَ فِيهَا.

وقال

لمن يا مِيُّ هاتيك القبابُ
أشيم خلالها يا مِيُّ بَرَقًا
قِبابٌ تسطع الأنوار فيها
قد استنكَّهتُها فنشيتُ عَرَفًا^(٣)
تقوم علاً على سُمُرِ العوالي
وترمي للمُطِلِّ على حِماها
مضاربٌ من سوى مَنْ تحتويهم
غَدَتْ لظبائِها وظَبَى ذويها
لعمري نِعَمَ حَيُّ أَيْكٍ حَيًّا
وأبناءً لأُمِّكَ من نزارِ
كُماةٌ تسبقُ الأرواحَ شَدًّا
لهم غررٌ مَواطِنِ صادقاتُ
يخوض فتاهُم الغمرات حربًا
ويرجع بالغنيمة بعد صدقِ
يطول وليس يُجهضُهُ خطرُ

على جبلٍ تُضِلُّ به السُّعابُ
فهل جادت بطلعتها الربابُ^(١)
ويسطع في جوانبها المِلابُ^(٢)
يضوُّعُ كلِّما مرَّت كِعابُ^(٤)
ويحرسها من البيضِ القُبابُ^(٥)
سهاماً فوق ما حوت الجعابُ
لعمرك لا طعان ولا ضرابُ
قلوب القوم تخضع والرقابُ
كما وُصِفَتْ بمنعتها العُقابُ
كأسدِ البرِّ أخدَرُهِنَّ غابُ
سوابحَ تحتها الخيلُ العِرابُ
وغارات تَمِيدُ بها الرُّحَابُ
ونيران القتال لها التهابُ
وليس غنيمة البطل الإيابُ
فينكا أو يُغَيِّبُهُ الغيابُ

(١) الرباب، مفردا ربابة: السحاب الأبيض.

(٢) المِلاب: العطر ما دام مائلاً (سائلاً).

(٣) العَرَف: الطَّيْب والعبير.

(٤) الكِعاب، جمعُ كمفرد: الجارية نَهَدَ صدرها.

(٥) القُباب: القاطع من السيوف.

يذوق عذاب بدء الأمر لكن
كذلك كلُّ مقتحمٍ جديدًا
تقابلت الأمور فكلُّ مرَّةٍ
ولولا المرَّة لم تشعر بعذبٍ
وكلُّ صعوبةٍ فلها سهولٌ
وكلُّ بدايةٍ فلها ختامٌ
أما لو لم يكن طرفا نقيضٍ
وأفضل ذي شُروعٍ مَنْ تراهُ
وَمَنْ طلب الصواب ولم يقابل
وَمَنْ عَدِمَ الصواب وقد نحاه
وَمَنْ خاض العُباب بقصد ربحٍ
وَمَنْ طلب الأمور بغير جدٍّ
وَمَنْ حسب الحياة مدى طويلاً
إذا ولَّى شباب المرء يوماً
ألا ليت الشباب يعود يوماً
فلا يشغل فؤادك في شبابٍ
ولا يُقعدك عن عملٍ فراغٍ
فإنَّ السيف طبعُ الهند يَصدا
وإنَّ المرءَ إنَّ يلزم سكوناً

عواطفه لِمَورده عذابٌ
تذلُّ له المعاضل والصعابُ
يعاقبه اللذيذ المستطابُ
ولولا العذب لم يُشعركَ صابٌ^(١)
وكلُّ سهولةٍ فلها عقابٌ^(٢)
وكلُّ جريمةٍ فلها عقابٌ
لما قيل الخطاب له جوابٌ
يقارن غبَّ مبدأهِ الصوابُ
وجوه الأمر أعجزه الطُّلابُ
بأحسن ما يجدُ فلا يُعابُ
فإنَّ الدرَّ ما ضَمَّ العُبابُ
سيدركها إذا شاب الغرابُ
يكذبُ ظنُّه الأجلُ القُرابُ^(٣)
فليس يُعيد صبوته الخِضابُ
تقول وإنَّما ذهبَ الشبابُ
عن العمل السَّماع أو الشَّرابُ
ولو لم يُعقب العملَ اكتسابُ
إذا ما طال يُخبأه القُرابُ
تولَّى هيكَلَ الجسد الخرابُ

(١) الصاب: الشجر المرء.

(٢) عقاب: عَقَبَات.

(٣) القُراب (بضم القاف وفتحها): خلاف البُعد، يريد (القريب).

سيعلم كل من عرف المعالي
ومن في طوقه أمرٌ فعيبٌ
ومن أضحى لأمرٍ غير كفوءٍ
ألم تر ما أصاب السُّحبَ لَمَّا
ولم تر ما أصاب الشُّهبَ لَمَّا
فلا عجبٌ إذا ما نال فوقًا
به راجت من العلياء سُوقٌ
وقد زهرت زناد العلم لما
وقد نلنا رغائبنا وكانت
غدا من عصبة الأفراد فضلًا
إذا ذُكِرَ الثنا فهو المبدى
تراه الأفق^(٣) النِّبَةَ المُعلَى
يظلُّ إذا انتحى العلياء يومًا
لقد جابت مدائحه البوادي
فليس لبدر شهرته مغيبٌ
كأنَّ خلاله إن رمت مدحًا
أروم به الوفاء فمن قصوري
تكلَّ مناطق البلغاء فيه
وإن ندع الثناء فإنَّ فيه

بأنَّ الشغل للعليا نصابٌ
لدى إجرائه فيه ارتيابٌ
فأليق ما يليق به اجتنابٌ
تبارى كهُنَّ يوسفَ والسحابُ
ترأى وجهُ يوسفَ والشهاب^(١)
ففضل الله ذاكَ ولا حسابُ
وعزَّ به من الحُسنِ جنابُ
به عن سُبهةٍ رُفِعَ الحجابُ
أمانيًا كما لمع السرابُ
بما يغدو من السيف الذُّباب^(٢)
وإن ذُكِرَ السنا فهو اللُّبابُ
وليس بسبقه أبدًا عجابُ
هو السِّبَّاق ليس له صحابُ
على نكْظٍ^(٤) وغناها الرُّكابُ
وليس لشمس بهجته ضبابُ
لأنواع الثنا منها انتهابُ
يقوم بكل بيتٍ لي عتابُ
ولو كانت مناطق الحِرابُ
خصائل للقريض لها اغتصابُ

(١) إشارة إلى حُسن يوسف بنيعقوب، وهو من الأنبياء، ضُربَ المثل بجمال وجهه حتَّى فضح بصباحته الكواكب.

(٢) الذُّباب (من السيف): حذو.

(٣) الأفق: الذي بلغ الغاية في العلم والكرم والخير.

(٤) النكْظ: المعجلة.

لکم وثبت قرائحنا علیها
أیا مَنْ خیره أبدًا یرجى
ومن یغدو لنا فی الرّوع رکنًا
ومن أضحی یهاب الدهرُ منه
ومن یدنی العُفاة إلى یسارٍ
دَعونا الله أن یبقیک ذخراً
لقد شیدت مدرسةً تعالت
نظمتَ بها من الأصقاع وُلداً
ومن یتربّک لعمرك والذّیه
لُهنک بالسلام مرور عیدٍ
ولا زالت بک الأعیاد تزهو
ومثلک لیس یُرهبه زوالٌ
فدم للغوث غیثاً مستمراً

فَعادت وهی من فِشلِ غضابُ
إذا صَفرت من الرزق الوطابُ^(١)
إذا ألقى بکلّکله المصابُ
بما القعقاع^(٢) من لیثِ یهابُ
بما یدنی من القوسین قابُ^(٣)
لأنّک أنت للأرزاق بابُ
على هام السّماک لها کعابُ
یُبلغهم لساحتک اجتیبُ
إلیک فما یُعنّفه اغترابُ
ولکن ما لبهجتَه ذهابُ
وعیشک للسعود له اجتذابُ
ففی کَنفِ الإله له الثوابُ
وبدرًا لیس یدرکه غیابُ

(١) صَفرت: خَلَّت وفرغت. الوَطْب: سقاء اللبن مصنوع من الجلد. ومعنى صَفرت وطابه: خَلَّت لساقيها من الألبان.

(٢) القعقاع: من تصطک رکبناه إذا مشى.

(٣) القاب: القُرب، وللقوس قاهان بین المَقْبِض والسّیة.

وقال وأنشدها وداعاً في ختام سنة ١٨٨٦

مفارقةً والله عزَّ نظيرُها
تخلّيت عن قلبي لها غير مكرهٍ
رهنت فوادي في هواها لمدةٍ
فليست ترى للعلق^(١) عندي علاقةً
وإن كان نقلاً ما سمحت فإنّها
فإنّي رأيت الفضل فضل زيادةٍ
وإنّ المزايا من قليلٍ وربّما
فإن كنت لم أؤثر على النفس مجدها
وما الفرق ما بين الكريم وضده
وما الحرّ من يلوي لضرٍّ يمسّه
ولكنّ من يقوى وللروع نصلةٌ
ولكنّ من يطوي على المرّة مرّةً
ولكنّ من يغدو وتغدو عزيمة
ولكنّ من يفري الستور^(٢) إذا عدت
ولكنّ من يغشى صدور مجالسٍ
ولكن سريّ ساور الدهر همّةً

أسيرُ غداً عنها وقلبي أسيرُها
ولكنّ نفس الحرّ تغلو مهورها
فلم يُغن عنه عند نفسي مرورُها
وعندي يدٌ لم توف عني نذورها
صنائع في رايتي تُزاد أجورها
على حقّه يُمسي خطيراً نزيروها^(٣)
لعمري قليل المكرّمات كثيرُها
فلا أحمد الآثار عني أثيرُها
إذا لم يُحمّل نفسه ما يضيرُها
إذا لفحّته في الليالي حرورُها
يطير فواد الفحل إذ يستطيرُها
تظلّ عليه مُستمراً مريروها
له مثل حدّ السيف وهو شهيرُها
عليه خطوبٌ لا تُزاح ستورُها
وتغشاه من جرد المذاكي^(٤) صدورُها
يسامي النجوم المسريات مسيرُها

(١) العلق: النفيس من كلّ شيء، لتعلق القلب به.

(٢) النّزّر: القليل.

(٣) الستور: الدروع. والستور (الثانية)، مفردها ستر: وهو معروف.

(٤) جرد المذاكي: الخيول الكريمة (مطلقاً).

ولكن فتى قد صاحب الوحش في الفلا
 بقلب يحاكي الراسيات^(١) وقد بدا
 ولكن فتى عند الرزايا صبورها
 ألا في سبيل المجد أن شكيمه
 وأني حلبت الدهر أشطره^(٢) وقد
 إذا لم يكن ماء الشهامة منهلي
 فلا وافقت للمكرمات عقيلة
 يفجر فيها للقريحة أنهرًا
 وما ذاك إلا أنه متخرج
 ممنعة للفضل فيها معاقل
 مؤسسه أركانها فوق حكمة
 تميل بأعطاف النجاح خصورها
 وتزهو ولا زهو الكواكب في الدجى
 يقر لها من كل بدر تمامه
 هي الجنة السامي على النجم كعبها
 زكت في ثرى غر المعاني غروسها
 وقد أوردت قصّادها عين حكمة
 فلا غرو في عاداتها إن تأرجت

بلا وحشة حتى تعجب قورها
 كبير أناس في بجاد ثبيرتها^(٣)
 وفي وسط أجوال المنايا صبورها^(٤)
 أجيش بها لم يخب يومًا سعيها
 مضت لي كأعوام الرجال شهورها
 ولم يهديني نحو الحفيظة نورها
 أخاها ولا صاغ القوافي أميرها
 غزارًا فلا تخشى المغاض^(٥) بحورها
 على ذات فضل لا يخيب سميرها
 أقام بها الإرشاد وهو خفيرها
 مرفعة تعلو السماك قصورها
 وتضحك عن مثل الأقاح ثغورها
 إذا في ليالي الجهل تم سفورها
 ويحسدها من كل شمس ذرورها^(٦)
 غدت تزدي بالزهر نورًا زهورها
 فمدت غصونًا كالنضار نضيرها
 سرى في عروق النابغين نميرها
 بأعرافها الأرجا وضاع عيرها

(١) الراسيات: الجبال.

(٢) ثبير: جبل في مكة.

(٣) الصبور: الأسد.

(٤) حلب أشطر الدهر: جربه وعرف خيره من شره.

(٥) غاض الماء: نقص أو نضب.

(٦) ذرت الشمس: طلعت.

ولا غَرَوَ أن تقبض رجائي هجرةً
فقد خولتني نعمة فوق نعمةٍ
فالبسني نسجَ الحبور حَيرها
لقد رَشَّحت حلمي^(١) فجاءت خلافتي
ليالي هاتيك المهارق^(٢) حَوْلنا
لذاك غدت تحكي بياض طُروسها
مَجَرٌّ ومَجَرى سُمُر أَقلامنا التي
ألا حَبَّذا تلك الليالي فإنَّها
قضيت بها أنسا كأن لم أفر به
فما أنسَ لا أنسَ الرياض التي جرى
ولا أنسَ أوقاتا قضيت برَبْعها
فإن يقضَ بالبعد القضاء فإنَّه
مضت فامضتْ مُهجتي وكأنما
فلا تنكرنْ مني الذي قد شهدته
فمي من جوى الأحشاء ما لو جعلته
تُصعَّد مني زفرة فتُشيرني
أحاول إخفاء الذي بي من الجوى
فإن كنت أظهرت الفتور بلوعتي
فوا حسرتا أني حسير حشى ولى

عليَّ بجرع الصَّاب حمَّ هجيرُها
وكلُّ إذا عُدَّت فإنِّي شكورُها
وأوطأني مهدَ السرور سريُّها
من الطبع أولاها ولا أستعيرُها
يدور بنا دَور الأساور سورُها
وإن أشبهتها بالظلام سطورُها
يهين صليلَ المشرفي صريُّها
هي الغرّ لكن ليس يدري غرورُها
ورشفَ كؤوس لم تُحرِّم خمورها
وأوردني ماء النعيم غديرُها
ولا صحبة مني كريمٌ عشيرُها
عذيري منها وهو مني عذيرُها
نظير كرى عينيَّ كان كُرورُها
وجُومًا بنفسٍ قد تسامى زفيرُها
على قُننِ الأَجبال^(٣) دُكَّت صخورُها
وأجهد في إرجاعها فائيرُها
وأوفق من أخفا شجونَ ظهورُها
فَرُبَّ عيونٍ شبَّ نارًا فتورُها
محاجر دمعٍ نور عيني حسيرُها

(١) رَشَّحت حلمي: دَفَعْتُ به وأَمَنَّتُهُ ورَعَتَهُ.

(٢) المهارق، مفردا مهروق: وهي الصحيفة أو الورقة.

(٣) قُننِ الأَجبال: قمم الجبال.

أودّع مَغْنَى قد قَضَيْتُ به الصبا
وصادقتُ إخوانًا وعاشرتُ فِتْيَةً
ومارستُ أعلامًا ودارستُ عِلْيَةً
عليَّ لهم فضلٌ بجِدي دُرَّة
فحاشيت نفسي من سُلوِّ عهودهم
فما قصرت إلا وقامت مآثرُ
فذكرَها عهد الخورنق شأنها
مآثرُ أجدادٍ جديدٍ فخارها
على أنه ما تمَّ فضلٍ لأولٍ

وأرضيت نفسي كالنهار ضميرُها
وسابقت غزلانا أليفًا نفورُها
وآنستُ أنوارًا تِمَامًا بُدورُها
وكم فِتْيَةٍ منهم تحلّت نحورُها
فإنَّ نِجَارِي^(١) المنذريَّ نذيرُها
من الأصل لا يُدرى لعمري قصورُها
وإن سدرت ما غاب عنها سديرُها^(٢)
يُدرى وإن طالت خلوا عصورُها
بعصبتهم حتّى أجاد أخيرُها

(١) النّجار: الأصل والحسب، ويشير الشاعر هنا إلى أصله القديم، فالأمراء الإرسلازيون يعودون بنسبهم إلى (المنذر) بن ماء السماء اللّخمي.

(٢) الخورنق والسدير: قصران شهيران للنعمان اللّخمي.

وقال متغزلاً بالعلم وهي من أوائل شعره

أَمَعْلَمَهَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ
فَدَيْتِكَ رَبِّعًا قَدْ تَرَحَّلَ آلَهُ
عَفَا وَخَلَّتْ مِنْهُ الْمَنَازِلُ بَعْدَ مَا
وَأَقْوَى^(١) وَأَقْوَى مَا حَوَى مِنْ مَعَاقِلِ
وَأَجْدَبَ بَعْدَ الْخَضْبِ إِذْ كَانَ زَاهِرًا
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الرَّبْعِ فَإِنَّهَا
لَكُمْ قَدْ حَوَتْ تِلْكَ الْخِيَامَ عَقَائِلًا
رَوَّاشِقَ قَلْبِي عَنْ قِسِيٍّ^(٢) جَفُونَهَا
تُبِيحٌ لَنَا أَلْحَاضُهَا حَيْثَمَا رَنْتُ
وَإِنْ خَطَرْتُ سَكْرَى فَمِنْ كُلِّ رَاقٍ
لَقَدْ أَطْلَعْتُ مِنْ تَحْتِ لَيْلِ فُرُوعِهَا^(٣)
فَلَيْلٌ وَبَدْرٌ عِنْدَهَا مَا هُمَا سَوَى
بِرُوحِي هَاتِيكَ الثَّنَايَا فَإِنَّهَا
أَتْلُحُونَنِي^(٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ وَيُحْكَمْ

تَغَزَّلْتُ مِنْ غَزْلَانِهِ بِالْحَقَائِقِ
بِكُلِّ إِمَامٍ لِّلْمَآثِرِ سَابِقِ
لَقَدْ كَانَ زِينًا لِلنُّهَى وَالْمَنَاطِقِ
أَنَاخْتُ عَلَيْهِ عَادِيَاتُ الْبَوَائِقِ
بِكُلِّ كِتَابٍ لِلْفَوَائِدِ وَاسِقٍ^(٥)
رِيَاضِ الْمَعَالِي وَالْمَعَانِي الدَّقَائِقِ
يُضِيءُ سَنَاهَا مِنْ خِلَالِ السُّرَادِقِ
أَلَا بَارَكَ الْبَارِي بِتِلْكَ الرُّوَّاشِقِ
بَسَحَرِ بَيَانٍ صَادِقٍ كُلِّ صَادِقِ
مِنْ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَمِنْ كُلِّ شَائِقِ
هَلَالِ مَحْيَاهَا بِأَسْنَى الْمَشَارِقِ
سَوَادِ مِدَادٍ فِي بَيَاضِ مَهَارِقِ
زَهَتْ فِي رِيَاضِ الْفَضْلِ زَهْوُ الشَّقَائِقِ
عَلَى الْحَبِّ مَا أَنْتُمْ لَهُ بِالْعَوَائِقِ

(١) أَقْوَى (المكان): خلا من ساكنيه.

(٢) وَسَقٍ: جَمَعَ.

(٣) قِسِيٍّ: مفردُها قَوْسٌ.

(٤) فَرَعُ الْمَرَاةِ: شَعْرُهَا.

(٥) لَحَى: لَامَ وَعَابَ.

وله

عليك أقمتُ أسناءَ الثناءِ
جعلت عليَّ حقَّ ثناكَ فرضاً
توقَّدُ فِطنةً وتَسِيلُ لطفاً
وحلمك راجحٌ برِّعان^(١) رَضْوَى^(٢)
ومجدك ظاهرٌ فوق الدراري
بروحي أنت لا وحدي ولكن
إذا فتشت يوماً في عروقي
فأين تكون يا مولاي مني
ففي قلبي أعيذك من غليلي
لقد أنالك بالقدر التداني
أرى لك هزّةً للفضل حتّى
أراك لطفت حتّى كدت تخفى
فلا بَسَّتِ الضمائر مثل سرِّ

فأنت أقمتَ أثناءَ السناءِ
وقد أحييت لي ميّتَ الرجاءِ
كطبع السيف من نارٍ وماءٍ
وعزمك كالمهَنَد في المضاءِ
وذكرك فائقٌ عَرَفَ الكِباءِ
فداك القوم من دانٍ وناءٍ
ترى سريان حبّك مع دمائي
لأسني عند منزلِك احتفائي
وفي عيني أعيذك من بكائي
وقد أدناك بالحبّ التنائي
طبائعك أصبحت مَجْرَى الطَّلاءِ^(٣)
على أبصار مُختبرٍ وراءِ
ولامست الظواهر كالهِواءِ

(١) الرُّعان من الجبل: أنفه.

(٢) رَضْوَى: جبل في المدينة المنورة، والعبارة للمديح.

(٣) الطَّلاء: الخمر.

وله من قصيدة طويلة تنوف على ثلث مئة بيت

قالها في أول نظمه

هناك إن شأنك لن يهونا
ذر الأرواح تنسف ما استطاعت
أما وأليّة منّي وإنّي
يميناً^(١) حلّ منزلة يميناً
بأعلاقٍ بها الدنيا أطلّت
عنيت المشرفية والمواضي
سيوفٌ لو سلّين على الرواسي
إذا ما صلّيت في الأرض يوماً
تولّى أمرها الأرهاف^(٢) لكن
وأحكم في سقايتها لبيق^(٣)
كأنّ الموت موثوقٌ إليها
كأنّك لو بذلت الفكر فيها
وحسبك في العواسل^(٤) مشرفي^(٥)

فما ألقى العفاء عليك هونا
فإنّ العهد لم يبرح رهينا
بدون أليّةٍ قلت اليقيناً
من الباري فيكبر إن يميناً
على الغايات سافرةً جبيناً
من الأصلاب تتخذ الجفونا^(٦)
تزعزعت البسيطة أو تلينا
رأيت الزهر^(٧) منها يشتكيناً
تولّى أن يمتنّها متونا
ويبرين الصّفاة وما سُقيناً
فمعترضٌ شمالاً أو يميناً
حسبتَ شفارها طُبعت منونا
تعاين قبل هزّته الطعينا

(١) يميناً: للقسم، ويميناً (الآخيرة) من المّين: وهو الكذب.

(٢) الجفن: غمد السيّف.

(٣) الزهر: صفة للنجوم.

(٤) الأرهاف، مفردها الرّهيف: وهو السيّف الرقيق.

(٥) اللبيق: الحاذق بكلّ عمل.

(٦) العواسل: الرماح إذا اشتدّ اهتزازها.

(٧) المشرفي: الرمح (وهو لفظ مؤنّث).

إذا ما هزَّه الفرسان يوماً
ومهما لان تثقيفاً تَبَدَّتْ
لعمرك فالعلی سيفٌ ورمحٌ
كِلَا الشَّيْخَيْنِ فِي الْهَيْجَا إِمَامٌ
يُؤَمِّنُ فِي الْمَعَاضِلِ كُلِّ لَبَسٍ
وَيُخْتَرَمُ الْجَحَافِلِ وَالسَّرَايَا
وَيُكْسِبُ قَوْمَهُ عِزًّا مَهِيْبًا
فَأَعْظَمَ بِالْكُمَاةِ مَقَرًّا عِزًّا
إِذَا بَرَزُوا خُصُومًا لِلْمَنَايَا
كُمَاةٌ فِي الْمَوَاقِفِ أَوْ سِوَاهَا
لَهُمْ شُكْكٌ^(١) إِذَا انْتَضَيْتِ^(٢) لِفَتْكٍ
عَلَى جُرْدٍ مُحَجَّلَةٍ صَفْوَنٍ^(٣)
سَوَابِقُ لَوْ جَرَيْنِ مَعَ السَّوَافِي^(٤)
لَهَا مِنْ بَاهِرِ الْإِحْضَارِ^(٥) مَرَأَى
إِذَا انْقَضَتْ بِهَا الْفَرَسَانِ كَانَتْ

ومنها:

وتلقون الألى صلحوا أخيراً

فألى تعرف الدنيا السكونا
له الأعدا بأكثر منه لينا
فكلٌّ للعلی أمسى ضميْنا
يطالعه الكُماة^(١) الدارسونا
ويضمن للورى الفتح الميْنا
ويفتح المعازل والحصونا
ويوسع خصمهم ذلاً مهينا
يريكهُمُ الثبات به قرونا
فزعن إليهم أن ينبرينا
فهم أبداً غدوا مُتَلَبِّبينا
تَبَسَّمَ^(٢) وَالْكُمَاةُ مُقْطَبُونَا^(٣)
أَلَا أَكْرَمَ بِهَا جُرْدًا صَفْوَنَا
بِمِيدَانٍ لَكُنَّ السَّابِقِينَا
كَوْمُضِ الْبَرْقِ عِنْدَ الرَّامِقِينَا
صَوَاعِقُ تَحْتَ أُخْرَى يَرْتَمِينَا

بجنات الإله يُمَتَّعُونَا

(١) الكُماة، مفردا كُمَي: الفارس (مطلقاً).

(٢) الشُّكَّة: السلاح.

(٣) انتضى السيف: سلَّه من غمده وشهره.

(٤) المقطَّب: العابس.

(٥) المُحَجَّل والأجرد والصفون: من صفات كرائم الخيل.

(٦) السوافي: الرياح (بدون تخصيص).

(٧) الإحضار: نوع من جري الخيل، وهو دون سرعتها القصوى.

أَلَيْسَ^(١) هُمْ عَلَى هَذِي قَوِيمٍ
وَأَمَّا الْكَافِرُونَ بِمَنْ بَرَّاهُمْ
لَئِنْ أَنْذَرْتَهُمْ أَوْ لَا سَوَاءٌ
وَمَنْ كَانُوا عَلَى الْإِدْرَاكِ مِنْهُمْ
وَقَالُوا لَا كِتَابَ وَإِنْ هَذِهِ
وَكَانُوا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ لَكِنْ
وَمَنْ اتَّخَذُوا الْمِرَاءَ لَهُمْ حَلِيفًا
وَقَالُوا نَحْنُ آمِنًا وَكَانُوا
فَسَوْفَ يَرَى انتِقَامَ اللَّهِ مِنْهُمْ
وَسَوْفَ يُحَاقُّ مِنْ سَخِرُوا بِحَقِّ
بِیَوْمٍ لَا يَقُومُ لَهُمْ شَفِيعٌ
وَمَنْ قَدْ أَصْلَحُوا فِي الْأَرْضِ عُمَرًا
إِذَا شَهِدُوا الْقِيَامَةَ حَيْثُ كَانَتْ
وَحَلُّوا بِالْفِرَادِيسِ اللَّوَاتِي
كَمَا امْتَثَلُوا لِأَمْرِ اللَّهِ طَوْعًا
أَقَامُوا بِالْأَحَقِّ لَهُ حُدُودًا
وَإِنَّ بِخَلْقِ رَبِّكَ مَنْ تَعَالَى
فَكُونِي بَرَّةً يَا أُمَّ عَمْرُو
لَعَمْرِكَ لَيْسَ إِنْسَانٌ جَهُولًا
فَإِذَا تَسْمَعِي فِي ذَا مِرَاءٍ
أَحَاطُوا بِالْحَقِيقَةِ فِيهِ عِلْمًا

وَهُمْ عِنْدَ الْمَعَادِ الْمُفْلِحُونَ
فَذَرَهُمْ فِي الضَّلَالَةِ يَعْمَهُونَا
عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
بِآيَاتِ الْإِلَهِ يُكَذِّبُونَا
أَسَاطِيرُ الْأَنَامِ الْأُولِينَ
أَرَادُوا أَنْ يَكُونُوا مُعْرِضِينَ
وَكَانُوا لِلْإِلَهِ مُخَادِعِينَ
يَقُولُونَ الَّذِي لَا يَفْعَلُونَا
بِمَا ظَلَمُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ
بِمَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
بِمَا كَفَرُوا وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ
فَلَيْسَ يَضِيعُ أَجْرُ الْمُصْلِحِينَ
فَلَا خَوْفٌ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
قَدْ انْتَضَرْتَ فَكَانُوا خَالِدِينَ
وَعَمَّا عَافَ كَانُوا مُنْتَهِينَ
يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
فَلَيْسَ خِرَافَةً مَا تَسْمَعِينَ
بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ
فَعَنْ قَوْمٍ طَغَاةٍ مُمْتَرِينَ
وَلَكِنْ خَالَفُوا مَا يُوقِنُونَ

(١) أَلَيْسَ: (لغة في) أولئك - انظر لغة طي.

ألا لا تذهلي يا أمَّ عَمْرُو
ولا يقتادكِ الطاغوت إلاَّ
وأنتِ صديقةٌ يا أمَّ عَمْرُو
فإنَّا لا نطيق الضَّيم يأتي
وأنا نكبح الأزرَاءَ عَمَّنْ
وانا لا نرى الأعداء إلاَّ
سلي إن شئتِ عَنَّا في المعالي
ترينا لا نكون بلا اعتزاز
ترينا لا يُنازلنا جريءٌ
ترينا لا يكابرنا كبيرٌ
سلي مَنْ شئتِ إما شئتِ حتَّى
خرجنا في مبارزةٍ فُكُنَّا
وأبلىنا البلاءَ الحقَّ حتَّى
فعدنا بعد أن شدنا المعالي
وعُدنا والسيوف على ظباها
وكُنَّا الفاتكينَ إذا غَشَوْنَا
وكُنَّا الناحرين وقد نزلنا

عن الحقِّ الذي لا تجهلينا
وأنتِ على الطواغيتِ تَظْهَرِينَا
لعمرك لن تزالِي تَظْهَرِينَا
على أصحابنا ومُؤاثِقينا
يعوذ بنا مليكًا أو قَطينَا
أسارى عنوةً ومُهزَمينا
ترينا من أعزَّ المُعتَلِينَا
فنلزم عزَّةً حتَّى نكونَا
تخرُّ له الضراغمُ ساجدينَا
سما إلاَّ ونحنُ الكابرونَا
ترينا ما ترينا يا ظَعيِنَا^(١)
نُعدُّ على الجميع مُبرِّزينَا
أقرَّ بما مَلَكْنَا الكاشِحونَا
على متن العوالي فائزينَا
فلولُ من قِراع الدارِعينَا
وكُنَّا الدافِعينَ إذا غُشِينَا
ونازلْنَا فُكُنَّا الناحِرِينَا

(١) الظعِين (هنا): المرأة في الهُودَج، سَمَّيت به على حدِّ تسمية الشيء بأسم الشيء، لقربه منه.

وله تاريخاً لضريح الوجيه المغفور له السيد عمر الغزاوي

تأملوا يا عباد الله وادّكروا	على الجميع بهذا قد جرى القدرُ
يفنون طُراً بتقدير الحكيم ولا	يقي سوى صالح الأعمال يُدّخرُ
لقد مضى اليوم من أعياننا عُمرٌ	مخلّداً في الوري من فضله الأثرُ
وسار يحظى ببرّ الله فابتهجت	به الملائكُ لكنْ ناحَت البشرُ
فقلت إذ سار في تاريخه بهنا	نعم المسير إلى الفردوس يا عمرُ



وكتب الناظم تحت رسمه

ونفسك فابدأ بتصويرها بما أنت من خالدٍ فاعلُ
والأَمْضى الجسم مع رسمه ولا يُخلد الزائلَ الزائلُ

فهذا أثرٌ نَمَّا سمح به الخاطرُ، والعمر في أول أطواره. وجواد القريحة في بدءِ
مضماره. رسمت به النفس على حالتها تلك، والمرءُ مولعٌ بآثاره. والفتى كَلَفٌ
بأبكاره. راجياً مَن تردَّى برداء الأدب واستشعر بشعاره، أن يتلقَى الخلل بواسع
حلمه ويتغمَّد الزلل بوارف ستاره. على أنه لَمَّا كانت الباكورة مجموع منتخبات.
ومقتطف أنموذجات. اقتضى أن أودعها أحاسن قصائدي وأطوي الباقي على غِرِّه
سائلاً الله تعالى ما يسدني إلى طرق الصواب. وينكُب بي عن مداحض الارتياب.
وأن يرشدني إلى الحق ويهديني بمناره، ثمَّ الحمد لله ربّ العالمين. والصلاة على
محمّد بن عبد الله رسوله الأمين. وعلى آله المقربين وأصحابه المكرّمين. وأعوانه
وأنصاره. آمين.



فهرست المحتويات

٥	★ كلمة لا بد منها
٧	★ مقدمة الناشر
٩	★ مقدمة / بقلم د. كلوديا شمعون أبي نادر
١٣	★ إهداء الباكورة
١١٩	★ فهرست المحتويات

